تُحْفَةُ الأَبْرَار

فِي هِجْرَةِ المُخْتَار

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

جَمَعَهُ وَأَعَدَّهُ

حَفِيدُ الرَّسُولِ

خَادِمُ الآثارِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ

الشَّيخُ الدكتور جَمِيل حَلِيم عَلِي الأَشعَرِيُّ الشَّافِعِيُّ

رَئِيسُ جَمْعِيَّةِ الـمَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيهِ وَلِمَشَايِخِهِ

يقولُ الإمامُ الـمُزَنِيُّ:

«قرأتُ كتابَ الرسالةِ على الشَّافعيّ ثمانين مرة، فَمَا مِن مرةٍ إلَّا وكان يقفُ عَلَى خطأ، فقالَ الشَّافعيُّ: هِيه، أَبَى اللّٰهُ أن يكونَ كِتابًا صحيحًا غير كِتَابِهِ».

أَخِي القارئ الكريم،

مَا كَان من خطأ في كتابنا أَرْشِدنا إليهِ

فَإنَّنا لَا نَدَّعي العِصمة،

ونحن لكَ من الشَّاكرين.


بسم الله الرحمن الرحيم

بَيْنَ يَدَي الكِتَاب

موضوع هذا الكتاب هو الهجرة النبويَّة الشَّريفة من مكة إلى المدينة المنوَّرة، وهو موضوعٌ عريقٌ ومُشَوِّق لِمَا له من أثرٍ بالغٍ في رفعِ شَأنِ الإسلام والمسلمين.

وقد أشار القرءانُ الكريمُ والحديثُ النبوي الشريفُ إلى الهجرة النبوية الشريفة، وأقبل العلماء والباحثون إلى طَرقِ هذا البحث من جوانبه قديمًا وحديثًا، فرأيتُ أن أضع كتابًا مستقلًّا أخصصه بهذا البحث الجليل الأصيل الحافِل، فأدليتُ بدلوي فيه راجيًا أن يكونَ أحدَ المراجعِ الحديثة المعتمدة عن الهجرة النبوية الشريفة وما يُسْتَقَى منها من حكمٍ ودُرَر، وبالله التوفيق.

التوطئة

الميزان في بيان عقيدة أهل الإيمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم وشرَّف وكرَّم على سيِّدنا محمَّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيمِ الجاهِ، العالي القَدرِ طه الأمينِ، وإمامِ المرسلينَ وقائدِ الغُرِّ المحَجَّلِينَ، وعلى ذُرِّيَّته وأهلِ بَيتِه المَيامِين المكرَّمين، وعلى زوجاتِه أمَّهات المؤمنِين البارّاتِ التَّقِيَّات النَّقِيَّات الطاهراتِ الصَّفِيَّات، وصحابَتِه الطيِّبِين الطَّاهرِين، ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يَومِ الدِّين.

أما بعدُ، فهذه عقيدةُ كلّ الأمّة الإسلاميةِ سلَفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تُعْرض عليه عقائدُ الناس، فمن خالفها أو كذبها لا يكونُ من المسلمينَ، وهي ميزان الحقِّ الذي يَكْشِفُ زيْفَ الباطلِ وزيغَهُ، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهمِّ لخصوصِ الغَرضِ وعمومِ النَّفْعِ؛ وعليه:

اعلم أرشدَنا اللهُ وإياكَ أنهُ يجبُ على كلِّ مكلفٍ أن يعلمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكِهِ، خلقَ العالمَ بأسرِهِ العلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسماواتِ والأرضَ وما فيهمَا وما بينهُمَا. جميعُ الخلائِقِ

مقهورونَ بقدرتِهِ، لا تتحرَكُ ذرةٌ إلا بإذنِهِ، ليس معهُ مُدَبّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حي قيومٌ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ لا يخفى عليه شيء في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البرّ والبحرِ، وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا، ولا حبةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ.

أحاطَ بكلِ شيء علمًا وأحصَى كلّ شيءٍ عددًا، فعالٌ لما يريدُ، قادرٌ على ما يشاءُ، له الملكُ وله الغِنى، وله العِزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضَى، ولا مانعَ لما أعطَى، يَفْعَلُ في ملكِهِ ما يريدُ، ويَحْكُمُ في خَلْقِهِ بما يشاءُ، لا يَرجُو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا، ليس عليهِ حقٌ يلزَمُهُ ولا عليهِ حُكْمٌ، وكُلُّ نِعْمةٍ منْهُ فَضْلٌ وكل نِقْمةٍ منه عَدْلٌ، لا يُسألُ عمّا يَفْعَلُ وهم يُسْألونَ. مَوجودٌ قبلَ الخَلْقِ، ليسَ لهُ قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ ولا بعضٌ، ولا يقالُ متَى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كانَ ولا مكانَ، كوَّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، لا يتقَيَّدُ بالزمانِ، ولا يتخصَّصُ بالمكانِ، ولا يشغَلُهُ شأْنٌ عن شأْنٍ، ولا يلحقُهُ وهمٌ ولا

يكتنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذّهنِ، ولا يتمثَّلُ في النفسِ، ولا يُتَصَورُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تَلْحَقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

تنزَّه ربّي عن الجلوسِ والقعودِ والاستقرارِ والمحاذاةِ، الرّحمـٰنُ على العرشِ استوى استواءً منزهًا عن المماسةِ والاعوجاجِ، خلقَ العرشَ إظهارًا لقدرتِهِ ولم يتَّخِذه مكانًا لذاتِهِ، ومن اعتقدَ أنَّ اللهَ جالسٌ على العرشِ فهو كافرٌ، الرّحمـٰنُ على العرشِ استوى كما أخبرَ لا كما يخطرُ للبشرِ، فهو قاهرٌ للعرشِ مُتَصرِّفٌ فيه كيف يشاءُ، تنزَّهَ وتقدَّسَ ربّي عن الحركةِ والسكونِ، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحِسِّ والمسافةِ، وعن التَّحوُّلِ والزّوالِ والانتقالِ، جلَّ ربّي لا تُحيطُ به الأَوهامُ ولا الظُّنونُ ولا الأفهامُ، لا فِكرةَ في الرَّبِّ، خلق الخلق بقُدرته، وأحكمَهم بعِلْمه، وخَصَّهم بمشيئته، ودَبَّرَهم بحِكمَته، لم يكن له في خَلْقِهم مُعِين، ولا في تَدبِيرهم مُشِير ولا ظَهِير.

لا يلزمه (لِمَ)، ولا يُجاوِرُه (أين)، ولا يُلاصِقُه (حَيث)، ولا يَحُلُّه

(ما)، ولا يَعُدُّه (كَم)، ولا يَحصُره (متَى)، ولا يُحِيطُ به (كَيف)، ولا يَنالُه (أيٌّ)، ولا يُظِلُّه (فَوق) ولا يُقِلُّه (تَحت)، ولا يُقابِلُه (حَدّ)، ولا يُزاحِمُه (عِند)، ولا يأخُذه (خَلْف)، ولا يَحُدُّه (أمام)، ولم يَتقدَّمُه (قَبْل)، ولم يَفُتْه (بَعد)، ولم يَجْمَعْه (كُلّ)، ولم يُوجِدْه (كان)، ولم يَفْقِدْه (لَيس).

لا إلـه إلا هو، تقدَّسَ عن كلِّ صفاتِ المخلوقينَ وسِمَاتِ المحدَثينَ، لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ، لا يُعرَفُ بالحواسِّ ولا يُقاسُ بالناس، نُوَحِّدُه ولا نُبَعِّضُه، ليس جسمًا ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسام، فالمجسِّم كافر بالإجماع وإن قال: «الله جسمٌ لا كالأجسام» وإن صام وصلَّى صورةً، فالله ليس شبحًا، وليس شخصًا، وليس جوهرًا، وليس عَرَضًا، لا تَحُلُّ فيه الأعراضُ، ليس مؤلَّفًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غَيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روحٌ، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ.

لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السِّنَاتُ، منزّهٌ عن الطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ والسَّمْكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيء، ولا

يَنْحَلُّ منه شيء، ولا يَحُلُّ هو في شيء، لأنه ليس كمثله شيء، فمَن زعَم أنّ الله في شيء أو مِن شيء أو على شيء فقَد أشرَك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان مُحدَثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعلمه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلَّم الله موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعض ولا يتعدد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتَدَأً ولا مُختَتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌّ أبديٌّ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام. كلامُه صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيَّر لأنَّ التغيُّرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ الذاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدَكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابَه من الكتابِ والسنَّةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾، ومن زعم أن إلـهنا محدودٌ فقد جَهِلَ

الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصِحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربّنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات السِتّ كسائر المبتدَعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفر.

﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾، ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾، ما شاء الله كان وما لم يشأْ لم يكن، وكلّ ما دخل في الوجود من أجسامٍ وأجرامٍ وأعمالٍ وحركاتٍ وسكناتٍ ونوايا وخواطر وحياة وموت وصحة ومَرَض ولذّة وألم وفَرَح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبُرودة ولُيونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمانٍ وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجن والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبات الرمال والحصى في السهول والجبال والقفار فهو بخلق الله، بتقديره وعلمه الأزلي، فالإنس والجن والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئًا من أعمالهم، وهم وأعمالهم

خَلْق لله، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، ومَن كذَّبَ بالقدر فقد كفَر.

ونشهد أن سَيِّدَنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدَنا وقُرَّة أعينِنا وغوثنا ووسِيلتنا ومعلّمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه، مَن أرسَلَه اللهُ رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككُلِّ الأنبياء والمرسلين، هاديًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسِراجًا مُنيرًا، فبلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونَصح الأُمّة وجاهَد في الله حَقّ جِهاده حتّى أتاه اليَقِين، فعَلَّمَ وأرشدَ ونَصحَ وهَدى إلى طريق الحقِّ والجنَّة، ﷺ وعلى كلِّ رسولٍ أرسَلَه، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر العشرة المبشَّرين بالجنة الأتقياء البررة وعن أمهات المؤمنين زوجات النبي الطاهرات النقيات المبرآت، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الفَضلُ والمِنَّةُ أنْ هدانا لهذا الحقّ الذي عليه الأشاعِرة والماتريدية وكلِّ الأمة الإسلامية، والحمد لله ربّ العالمين.

تمهيد في بيان حبِّ المسلمينَ
لِذِكرى الهِجرةِ النَّبَوِيَّةِ وصاحبِ الذِّكرى

قد يسأل بعض الناس عن سببِ تعظيمِ المسلمينَ الهجرةَ النبويةَ المباركة. وقد يسأل بعضهم عن سبب حبِّ المسلمين العظيم لهذه الذكرى.

أما عن الأول فأقول: كيف لا يُعظِّمونها وهي تتعلق بشخصية عظيمةٍ كل ما فيها عظيمٌ؟ كيف لا يُبَجِّلونَهَا وهي تتعلقُ بشخصية كلُّ ما فيها بركة؟

أما عن الثاني فأقول: كيف لا نُحِبُّه وحُبُّ صاحبِ الذِّكرى محفورٌ في قلبِ كلِّ واحدٍ منَّا، كيف لا نحبه وهو ﷺ تحن إليه الأفئدة، وتقرُّ به العيون، وتأنس به القلوب، فكلامه نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، وعمله نور، إن سكت علاه الوقار، وإن نطق أخذ بالقلوب والبصائر والأبصار.

كيف لا نُحِبُّه وقد أقسم الله بحياته ﷺ في القرءان فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الحجر].

كيف لا نُحِبُّه وهو نبي الله وحبيب الله، كان يجالس الفقراء

والمساكين والعبيد والإماء، ويعودهم ويزورهم، ويتفقَّد حالهم، ويشهد جنائزهم.

كيف لا أعشق محمدًا وكلامه بَيِّنٌ ظاهر يفصل بين الحق والباطل، يرضى بما يرضاه القرءان، ويتأدب بآدابه، ويتخلّق بأخلاقه، ويلتزم أوامره، ولا يغضب لنفسه إلا إذا ارتكبت محارم الله، فإذا انتهكت محارم الله كان أشد الناس غضبًا لله.

كيف لا أعشق محمدًا وهو أكثر الناس حياءً وأدبًا مع ربه، ولا يقول في حالة الرضا والغضب إلا الحق قطعًا، لعصمته، فإنه معصوم لا ينطق إلا بالحق، وكان يعظ الناس، يخطبهم بالجد والاجتهاد إذا ذكرهم بآيات الله وخوَّفهم من عقابه، وكان إذا خطب احمرَّت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش، أي قوم يُصْبِحُهم عدوهم، وكان إذا سُرَّ استنار وجهه من السرور بدرًا أي قمرًا كاملًا.

كيف لا أعشق محمدًا وهو الذي يختص بالشفاعة العظمى، وهي لا تختص بأمته فقط بل ينتفع بهذه الشفاعة غير أمته من المؤمنين. فمِمَّا يحصل يوم القيامة ما ورد في الحديث الصحيح أنَّ بعض الناس يقول لبعضٍ: تعالوا لنذهب إلى أبينا ءادم ليشفع لنا

إلى ربنا، فيأتون إلى ءادم يقولون: يا ءادم أنت أبو البشر خلقك الله بيده[1] وأسجد لك ملائكته، فاشفع لنا إلى ربنا، فيقول لهم: لست فلانًا[2]، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيطلبون منه، ثم يقول لهم: ائتوا إبراهيم، فيأتون إبراهيم، ثم إبراهيم يقول لهم: لست فلانًا[3] فيأتون سيدنا موسى فيقول لهم: لست فلانًا، ائتوا عيسى، فيقول لهم عيسى: لست فلانًا، ولكن اذهبوا إلى محمد، فيأتون النبي ﷺ فيسجد النبي لربه، فيقال له: ارفعْ رأسك، واشفعْ تُشفَّع، وسَلْ تُعْط.

أيسألون عن الحبِّ؟

الحُبّ؟ هو ثوبان مولى رسول الله حينما أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله لَأَنتَ أحبُّ إليَّ من أهلي ومالي وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء فأنظر إليك، وإني ذكرت موتي وموتك، فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلتها لا أراك، فأنزل الله

---

(١) أي خلقك بعنايته.

(٢) معناه أنا لست صاحب هذه الشفاعة.

(٣) معناه أنا لست صاحب هذه الشفاعة.

تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [سورة النساء]، فدعا به فقرأها عليه(١).

الحُبّ؟ هو صحابيٌّ جاء إلى النبي ﷺ فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «**وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**»، قال: ما أعددت لها من كثير صلاةٍ ولا صومٍ ولا صدقةٍ، ولكني أحبُّ اللهَ ورسولَهُ، قال: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**». قال أنس: فما فرحنا ـ أي أصحاب محمد ﷺ ـ بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «**أنت مع من أحببت**»، قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم(٢) (٣).

---

(١) رواه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها. **المعجم الصغير**، الطبراني، باب الألف من اسمه أحمد، (٥٣/١)، رقم الحديث ٥٢. **المعجم الأوسط**، الطبراني، (١٥٢/١)، رقم الحديث ٤٧٧.

(٢) والمراد أنه يدخل الجنة في زمرة المؤمنين وإن كانت مراتبهم متفاوتة.

(٣) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، (١٣٤٩/٣)، رقم الحديث

الحُبّ؟ هو ما رَوَتْهُ عبدةُ بنت خالد بن معدان تخبر عن أبيها فتقول: ما كان خالدٌ يأوي إلى فراش إلَّا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار، يسميهم ويقول: هم أَصْلِي وَفَصْلِي، وإليهم يحنُّ قلبي، طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك، حتى يغلبَهُ النومُ[1].

الحُبّ؟ هو السميراء بنت قيسٍ إحْدَى نِسَاءِ بَنِي دِينَارٍ حين نفر المسلمون إلى أُحُد سارعت تحرض ولديها النعمانَ وسليمًا للنفرة مع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ثم تمضي خلفَ ركبِ الجيش مع نفرٍ من نساء المسلمين تستطلع أخبارَ القتال. واحتدم القتال، والسميراء ورهطها يراقبْنَ عن بعد مجرى المعركة، حتى إذا لاح لها فارسٌ يقترب نهضت إليه تستوقفه وتسأله عن أخبار المعركة، فعرفها الفارس فنعى إليها ولديها النعمان وسليمًا، فما زادت أن قالت: «إنا لله وإنا إليه راجعون». وعادت إلى الرجل تقول: يا أخا الإسلام، ما عنهما سألتك، أخبرني: ما فعل رسول الله

٣٤٨٥.

(١) **حلية الأولياء**، أبو نعيم، خالد بن معدان، (٥/٢١٠).

ﷺ؟ قال الرجل: خيرًا إن شاء الله، هو بحمد الله على خير ما تحبين، قالت: أرنيه أنظر إليه، فأشار إليه، فقالت وقد تهلل وجهها ونَسِيَتْ مُصِيبَتَهَا بولدَيْهَا: «كل مصيبة بعدك جلل[1] يا رسول الله». وما هي إلا سويعات حتى جيء لها بولديها الشهيدين، فقبلتهما، وحملتهما على ناقتها، ورجعت بهما إلى المدينة. وفي الطريق قابلتها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فقالت: «ما وراءك يا سميراء؟»، قالت: أمَّا رسول الله ﷺ فهو بحمد الله بخير، وأما المسلمون فقد اتخذ الله منهم شهداء، وأما الكافرون فقرأت قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأحزاب]. قالت عائشة: «فمن هؤلاء الذين فوق الناقة يا سميراء؟»، قالت: هما ولداي النعمان وسليم، قد شرفني الله باستشهادهما، وإني لأرجو الله أن يلحقني بهما في الجنة. تلك امرأة استقر في قلبها الإيمان، وهي تطلب ثواب الله.

الحُبّ؟ هو عليُّ بن أبي طالب كَرَّمَ الله وجهَهُ حينما سئل يومًا:

---

(١) جلل أي هينة، وهذه الكلمة من الأضداد، فتجيء بمعنيين متضادّين؛ فالجَلَلُ: الأمر العظيم، والجَلَلُ: الأمر الهين اليسير.

كيف كان حُبُّكم لرسول الله ﷺ؟ قال رضي الله عنه: «كان والله أحب إلينا ـ أي معشر الصحابة ـ من أموالنا وأولادنا وءابائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ»[1].

الحُبّ؟ هو أبو بكرٍ الصدِّيقُ لَمَّا كان ليلة الغار قال: يا رسول الله دعني أدخل قبلك؛ فإن كان حيةٌ أو شيءٌ كانت لي قبلك، قال: «**ادْخُلْ**»، فدخل أبو بكر، فجعل يلتمس بيده كُلَّمَا رأى جُحْرًا شقَّ ثوبه ثم ألقمه الجحر، حتى فعل ذلك بثوبه أجمعَ. فبقي جحر، فوضع عقبه عليه، ثم أدخل رسول الله. فلما أصبح قال له النبي ﷺ: «**فأين ثوبك يا أبا بكر**»؟ فأخبره بالذي صنع[2].

الحُبّ؟ هو عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لَمَّا خَدِرَت رِجْلُهُ، فقيل له: «اذكُرْ أَحَبَّ الناس إليك يَزُلْ عَنكَ»، فقال: «يا

---

(1) **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، القاضي عياض، القسم الثاني: فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ، فصل فيما روي عن السلف والأئمة من محبتهم للنبي ﷺ وشوقهم له، (٢/٢٢).

(2) **الدر المنثور**، السيوطي، (٤/٢٠٠).

محمد». فكأنما نشط من عقال ـ أي تعافى فورًا ـ[1].

الحُبّ؟ هو امرأةٌ قالت لعائشة رضي الله عنها بعد وفاة النبي المصطفى ﷺ: اكشفي لي قبر رسول الله ﷺ، فكشفته لها، فصارت تبكي أمام القبر الشريف، حتى ماتت من عظيم شوقها ووجدها وحبها للنبي المصطفى ﷺ[2].

الحُبّ؟ هو بلالٌ الحبشي لَمَّا احتضر رضي الله عنه وكان مؤذنَ رسولِ الله ﷺ، نادت امرأته: واحزناه، فقال رضي الله عنه: واطرباه، غدًا ألقى الأحبة محمدًا وحزبه[3].

---

(1) **الأدب المفرد**، البخاري، كتاب العطاس، باب ما يقول الرجل إذا خدرت رجله، (ص٣٣٥)، رقم الحديث ٩٦٤. **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، القاضي عياض، القسم الثاني: فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ، فصل فيما روي عن السلف والأئمة من محبتهم للنبي ﷺ وشوقهم له، (٢/٢٣).

(2) **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، القاضي عياض، القسم الثاني: فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ، فصل فيما روي عن السلف والأئمة من محبتهم للنبي ﷺ وشوقهم له، (٢/٢٣).

(3) **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، القاضي عياض، القسم الثاني: فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ، فصل فيما روي عن السلف والأئمة من محبتهم للنبي

الحُبّ؟ هو خُبَيْبٌ حين أخرجه أهلُ مكةَ من الحرم ـ وكان أسيرًا عندهم ـ ليقتلوه، ناشدوه فقالوا له: أتحب أن محمدًا مكانك؟ قال خبيب: لا والله، ما أحب أن يفديني بشوكة يُشاكها في قدمه. وأمَّا زيدُ بنُ الدَّثِنَةِ ـ وكان أسيرًا أيضًا ـ فقال له أبو سفيان بن حرب: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدًا مكانك يضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال زيد رضي الله عنه: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني جالس في أهلي. ثم نادى: «يا محمداه»، فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمدٍ محمدًا[1].

الحُبّ؟ هو سعدُ بن مُعاذ حينما قال لرسول الله ﷺ: قد ءامنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك مواثيقنا على السمع والطاعة، فامض لما أردت فنحن معك، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل، وما نكره

ﷺ وشوقهم له، (٢/٢٣).

(١) **تاريخ الطبري**، الطبري، (٢/٢١٦). **حلية الأولياء**، أبو نعيم، سعيد بن عامر، (١/٢٤٦).

أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فَسِرْ على بركة الله. فسُرَّ النبيّ بذلك[1].

الحُبّ؟ هو أبو دُجَانة رضي الله عنه حينما تَرَّسَ نفسه دون رسول الله ﷺ، والنبل يتلاحق في ظهره وهو منحن على رسول الله ﷺ، حتى قتل هو ومعه خمسة ممن كانوا يذودون عن نبيهم عليه الصلاة والسلام، ويقاتلون دونه حتى فدوه بأرواحهم، ونالوا شرف الشهادة[2].

الحُبّ؟ هُو أم عُمارة نَسِيبةُ بنتُ كَعْبٍ لما رأت المشركين في يوم أحد يتكاثرون حول رسول الله ﷺ، استلت سيفَهَا ـ وكانت مقاتلةً قويةً ـ وشَقَّتِ الصفوف حتى وصلت إلى رسول الله ﷺ تقاتل بين يديه، وتضرب بالسيف يمينًا وشمالًا، حتى هابها الرجال، وأثنى عليها الصادق الأمين صلوات ربي وسلامه عليه وقال: «**مَا**

---

(1) **عيون الأثر**، اليعمري، (٣٢٨/١). **حلية الأولياء**، أبو نعيم، سعيد بن جبير، (٣٠٥/٤). **تاريخ الطبري**، الطبري، (١٤١/٢).

(2) **عيون الأثر**، اليعمري، (٤١٩/١).

التَفَتُّ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا يَوْمَ أُحُدٍ إِلَّا وَجَدْتُ نَسِيبة بِنْتَ كَعْبِ تُقَاتِلُ دُونِي»[1].

الحُبّ؟ هو أبو طلحة يوم أُحد يرمي والنبي ﷺ ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة: «بأبي أنت وأمي، لا تُشْرِفْ يصبْك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك»[2].

الحُبّ؟ هو سَعدُ بنُ الرّبيع ـ وهو من سادات الأنصار ـ وقد أثخنته الجراح يوم أحد وبه رمق، وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم، فأبلغه موفد النبي ﷺ السلام وسأله: كيف تجدك؟ فقال: على رسول الله السلام، وعليك السلام، قل له: يا رسول الله أجدني أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يَخلُصَ إلى رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف، وفاضت نفسه رضي الله عنه، ومثله قال أنس بن النضر عمُّ

---

(1) **الطبقات الكبرى**، ابن سعد، (٤١٣/٨).

(2) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي طلحة رضي الله عنه، (١٣٨٦/٣)، رقم الحديث ٣٦٠٠.

أنس بن مالك رضي الله عنه[1].

الحُبُّ؟ هو رَبِيعَةُ بنُ كعبٍ الأسلميُّ الذي خدم رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ من باب حب المكافأة: «**سَلْنِي**» فطلب من رسول الله ﷺ أن يكون رفيقه في الجنة، فقال له: «أسألك مرافقتك في الجنة»، فلم ينكر عليه رسول الله سؤاله، بل قال له من باب التواضع: «**أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ**»، فقال هذا الصحابي: هو ذاك، فقال له ﷺ: «**فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**»[2].

الحُبّ؟ هو بلالٌ الحَبَشِيُّ رضي الله عنه مؤذن الرسول ﷺ، وكان قد ترك المدينة المنورة بعد وفاة النبي ﷺ، وتوجه إلى الشام، وأقام فيها، فرأى رضي الله عنه في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول له: «ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما ءان لك أن تزورني يا بلال» فانتبه بلال رضي الله عنه من نومه حزينًا وَجِلًا خائفًا، فركب راحلته،

---

(1) **المستدرك**، الحاكم، كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ذكر مناقب سعد بن الربيع بن عمرو الخزرجي العقبي، (٣/٢٢١)، رقم الحديث ٤٩٠٦.

(2) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الصلاة، باب فَضْلِ السُّجُودِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، (٢/٥٢)، رقم الحديث ١١٢٢.

وقصد المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم، فأتى قبر النبي ﷺ، فجعل يبكي عنده، ويمرّغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ فجعل يضمهما ويقبلهما رضي الله عنهما، فقالا له: نشتهي نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ في المسجد ففعل، فعلا سطح مسجد النبي ﷺ، فوقف موقفه الذي كان يقف فيه، فلما قال: «الله أكبر الله أكبر» ارتجت المدينة، فلما قال: «أشهد أن لا إلـه إلا الله» ازدادت رَجَّتُها، فلما قال: «أشهد أن محمدًا رسول الله» خرجت العواتق[1] من خدورهن وقلن: أبعث رسول الله ﷺ؟ فما رؤي يومٌ أكثرُ باكيًا ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم[2].

ونحنُ نحبُّكَ يا رسول الله، بأبي أنتَ وأُمِّي يا حبيبَ الله، وأنت القائل: «الـمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[3]؛ صَلَّى عَلَيكَ اللهُ يا عَلَمَ الهُدى ما

---

(١) أي النساء الشابات.

(٢) **تاريخ دمشق**، ابن عساكر، (١٣٧/٧).

(٣) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله عزَّ وجلَّ، (٢٢٨٣/٥)، ٥٨١٦.

هَبَّتِ النسائمُ وما نَاحَتْ على الأيْكِ الحَمَائِم.

مُقدِّمةُ الكِتَاب

الحمدُ لله الذي شرَّف المدينةَ بهجرةِ خيرِ البريّة، وضاعفَ الثواب لمن صلَّى بروضته العطرة الشَّذِيَّة، وأشهدُ أن لا إلٰه إلا الله الذي نوَّرَ الكونَ بطلعةِ حبيبهِ البهيَّة، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، جعلَ اللهُ هجرَتَهُ شمسًا أطلعها على الأُمَّة الإسلاميَّة، وتوالت على المدينةِ المنورة الآيات القرءانِيَّة، صلَّى الله عليهِ وعلى ءالهِ وأصحابه الذين فازوا باتباعهم له بالسعادةِ السَّرمديَّة، وسَلَّمَ تسليمًا كثيرا.

عندما بُعِثَ رسول الله ﷺ أُمِرَ بالتبليغ والإنذار بلا قتالٍ في أولِ الأمر، فكان يدعو إلى الله جهرًا ويمرُّ بين العربِ المشركين حين كانوا يجتمعون في الموسم من نواحٍ مختلفةٍ ويقول لهم: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»[1]. ودعا عليه الصلاة والسلام إلى العدلِ والإحسانِ ومكارمِ الأخلاق ونهى عن المنكرِ والبغيِ فآمنَ به بعض الناسِ كأبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي وبلالٍ وغيرهم، وبقي

---

(١) **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، كتاب التاريخ، باب كتب النبي ﷺ، (٥١٧/١٤)، رقم الحديث ٦٥٦٢.

على الكفر أكثر الناسِ وصاروا يؤذونه وأصحابَه. فلمَّا اشتدَّ عليهم الأذى أمرَ رسول الله ﷺ بعضَ أصحابِه بالهجرة إلى الحبشة. وكانَ رسولُ الله ﷺ قد لقيَ في الموسم نفرًا من أهل يثرب من الخزرجِ فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا، ثم ازداد عددهم في العام التالي، فلمَّا انصرفوا بعث معهم بعضَ أصحابه ﷺ لتعليم من أسلمَ من أهل يثرب القرءانَ ودعوةِ مَن لم يُسلم منهم بعدُ إلى الإسلام. فلمَّا كثُرَ أنصار رسول الله ﷺ بيثربَ أمرَ الله المسلمين بالهجرةِ إليها فهاجروا إليها أرسالًا، جماعةً بعدَ جماعةٍ، كما جاء في الحديث أنه ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَانًا وَدَارًا تَأْمَنُونَ بِهَا**»[1].

ثم جاءَ أَمْرُ الله تعالى لنبيِّهِ ﷺ بالهجرةِ إلى يثرب، أَمَرَهُ اللهُ بتركِ مكةَ محلِّ ولادته عليه الصلاة والسلام التي كانت أحبَّ البلاد إليه، فامتثلَ لأمرِ الله وهاجر متحمِّلًا المشاقَّ في سفرِهِ طاعةً لله تعالى لا خوفًا من المشركين وجبنًا، فإنه ﷺ كان أشجع الناس، ولا يأسًا من واقع الحال ولا حُبًّا في الشهرةِ والجاه والسُّلطان، فقد ذهبَ إليه أشراف مكةَ وساداتُها وقالوا له: إن كنتَ تريدُ مالًا جمعنا لك

---

(١) **السيرة النبوية**، ابن هشام، (٤٦/٢).

من أموالنا حتى تكونَ أكثرَنا مالًا، وإن كنتَ تريد مُلكًا مَلَّكناكَ علينا ولكنْ كُفَّ عن ذكر ءالهتنا بسوء، ولكنَّ النبيَّ ﷺ أشرف من أن يكون مقصودُهُ الدنيا والجاه والسلطان، ولذلك قال لعمِّهِ أبي طالبٍ الذي نقلَ إليه عَرْضَهُم: «**وَاللَّهِ يَا عَمُّ، لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَوْ أَهْلِكَ دُونَهُ**»[1].

هاجرَ رسول الله ﷺ تاركًا تاريخًا مجيدًا لهذه الأمة، وهو الذي اتَّفق عليه الصحابةُ الكرام في الدولة العمرية وهو أولُ المُحَرَّمِ، وذلك بعد أن أجمعَ المسلمون الأوائل رحمهم الله أن يكونَ تاريخهم ذكرى هجرته عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة. وقد صادفَ وصولُه ﷺ إلى المدينة يومَ الاثنين الثانيَ عشرَ من شهر ربيعٍ الأول، السنةَ الثالثةَ عَشْرَةَ من بِعثته ﷺ، والعشرينَ من أيلولَ سنة ستمائةٍ وإحدى وسبعين روميةً، وهو اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة المنورة التي نُوِّرَت به ﷺ.

---

(1) **تاريخ الطبري**، الطبري، (٦٢/٢). **عيون الأثر**، اليعمري، (١٣٢/١). **السيرة النبوية**، ابن هشام، (١٨٧/١).

البَابُ الأَوَّلُ

فِي بَيَانِ مَعنَى الهِجرَة

الهَـجْـرُ ضِدُّ الوَصلِ، يُقال هجره هَجْرًا وهِجْرانًا[1] إذا قاطعه وأعرض عنه وتركه، ومنه قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الفرقان].

قال القرطبي: «أي قالوا فيه غير الحق من أنه سحر وشعر، عن مجاهد والنخعي، وقيل: معنى مهجورًا أي متروكًا»[2]. ومنه قوله ﷺ: **«لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ»**[3].

والهِجْرَةُ والهُجْرَةُ: الخروج من أَرض إِلى أَرض.

والمُهاجِرُونَ: الذين ذهبوا مع النبي ﷺ، مشتقٌّ منه.

وتَهَجَّرَ فلان أَي تشبه بالمهاجرين، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «هاجِرُوا ولا تَهَجَّروا». قال أَبو عبيد: يقول أَخْلِصُوا الهِجْرَةَ لله ولا تَشَبَّهُوا بالمهاجِرِينَ على غير صحة منكم، فهذا هو التَّهَجُّر، وهو كقولك: فلانٌ يَتَحَلَّم وليس بحليم ويَتَشَجَّع أَي أَنه

---

(1) **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (هـ ج ر)، (٥/٢٥٠).

(2) **الجامع لأحكام القرءان**، القرطبي، تفسير سورة الفرقان، (١٣/٢٧).

(3) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، (٥/٢٢٥٣)، رقم الحديث ٥٧١٨.

يظهر ذلك وليس فيه. قال الأَزهري: وأَصل المُهاجَرَةِ عند العرب خروجُ البَدَوِيّ من باديته إِلى المُدنِ، يقال: هاجَرَ الرجلُ إِذا فعل ذلك، وكذلك كل مُخْلٍ بِمَسْكَنِه مُنْتَقِلٍ إِلى قومٍ ءاخرين بِسُكناهُ فقد هاجَرَ قومَه.

وسُمِّيَ المهاجرون مهاجرين لأَنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نَشَؤُوا بها لله ولحَِقُوا بدار ليس لهم بها أَهل ولا مال حين هاجروا إِلى المدينة، فكل من فارق بلده من بَدَوِيٍّ أَو حَضَرِيٍّ أَو سكن بلدًا ءاخر فهو مُهاجِرٌ، والاسم منه الهِجْرة.

والهِجْرَتانِ هِجْرَةٌ إِلى الحبشة وهجرة إِلى المدينة، والمُهاجَرَةُ من أَرض إِلى أَرض تَرْكُ الأُولى للثانية.

وإِذا أطلقت الهِجرةُ انصرفت إِلى الهجرة من مكة المكرمة إِلى المدينة المنورة.

قال ابن الأثير: والمهاجر هو كل من ترك وطنه وفارق أهله قاصدًا النبيَّ ﷺ حيثما كان. وأصل المُهَاجَرَة عند العرب: أن ينتقل الإنسان من البادية إِلى المدن والقرى. والمراد به في الشريعة: من فارق أهله ووطنه وجاء إِلى بلد الإِسلام، وقَصَدَ النبي ﷺ رغبةً فيه

وإيثارًا[1].

وبناءً عليه: فمن الأنصار من يطلق عليه أيضًا وصف «مهاجر» وهم الذين جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ليلة العقبة لأنهم هجروا دار الشرك ءانذاك وهي «يثرب» وجاؤوا إلى رسول الله ﷺ قاصدين الإسلام. قال ابن عباس: «إن رسول الله ﷺ وإن أبا بكر وعمر كانوا من المهاجرين لأنهم هجروا المشركين وكان من الأنصار مهاجرون لأن المدينة كانت دار شرك فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ ليلة العقبة[2].

---

(1) **جامع الأصول**، ابن الأثير، (٢٤٠/١).

(2) **سنن النسائي**، النسائي، (٤٢٦/٤)، رقم الحديث ٧٧٨٩.

الباب الثاني

ذِكرُ مَا لَاقَى النَّبيَّ وَأَصحابَهَ
من أَذَى الـمُشرِكِين

منذ أن أُمر النبيُّ ﷺ بالصدع بالكلمة الحق ودعوة الناس إلى توحيد الله وعبادته دون سواه، وقفت جحافل الشرك والوثنية ضد النبي ﷺ ودعوته وأتباعه، ونفرت عن بكرة أبيها لمحاربة الدعوة الإسلامية، فساموا المسلمين سوء العذاب، وأذاقوهم الاضطهاد والتنكيل، بَدْءًا من الأكاذيب ضدهم الشاملةِ التشنيعَ والتقبيحَ والسخريةَ والاستهزاء بهم ومرورًا بالتعذيب البدني البشع من إلباسهم دروعِ الحديد وإطفاءِ النار في أجسادهم، وضربهم وجلدهم بالسياط، وإيقافهم في الشمس المحرقة، ووضع الأحجار الثقيلة على صدورهم، وغيرِ ذلك، وانتهاءً بالقتل والإبادة كما فعلوا مع أول شهيدة في الإسلام السيدةِ الصابرةِ الصامدة سميةَ بنتِ خياطٍ أمِّ عمارِ بن ياسر رضي الله عنهم.

وهذا ليس بغريبٍ ولا جديدٍ على الكفار والمشركين الذين يتفننون في إلحاق الأذى والعنت بالمسلمين والذين يحاولون جاهدين صدَّ المسلمين عن دينهم وإبعادهم عن عقيدتهم، فإن نجحوا وإلا كَشَّروا عن وجوههم القبيحة فيبطشون بالأبرياء، ويقتلون العُزَّل ويجرفون الأراضيَ الخِصْبَةَ، ويهتكون الأعراض المصونة، ويذبحون الأطفال الأبرياء بدم بارد ويحتلون الأرض بعد

الأرض ويطردون منها أهلها وذويها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ ﴿٢١٧﴾﴾ [سورة البقرة].

وإثباتًا لما ذُكر من تَعَرُّضِ الرسول والصَّحَابَة رضي الله عنهم لحملة هوجاءَ من العِدائية والتنكيل من قبل المشركين، نضرب هذه الأمثلةَ:

حَادِثَةُ أَبِي لَهَبٍ وَامْرَأَتِهِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ

بعدَ أن عَلِمَ مشركو مكةَ بدعوة النبي ﷺ صاروا يُؤذونَه ويؤذون أصحابه. وكان ممن عاداه وءاذاهُ أبو جهل وعمه أبو لهب واسمه عبد العُزَّى بنُ عبدِ المطلب، وامرأته أمُّ جميلٍ بنتُ حربٍ وكانت تحتطبُ الشوكَ فتُلقيهِ في طريقِ رسول الله ليلًا.

وقد روي في الحديث أنهُ لمّا نزل قوله تعالى ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [سورة الشعراء]، صعِد الرسول ﷺ على الصفا فقال: «**يَا صَبَاحَاهُ**[1]» فَاجْتَمَعَتْ إليهِ قريشٌ فقالوا ما لكَ؟ فقال: «**أَرَأَيْتُمْ إِن**

(1) كلمة تقال للإشعار بإغارة العدو لأن الغالب في الإغارة أن تكون وقتَ

أخبرتُكُمْ أَنَّ العَدُوَّ مُصْبِحُكُمْ أَوْ مُمْسِيكُم أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي»؟ قالوا: بلى، فقال: «**إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**»[1]، قال أبو لهب: تبًّا لكَ ألهذا دعوتنا؟ فأنزل الله قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾[سورة المسد].

فلما سمعت أمُ جميلٍ هذه السورةَ أتت أبا بكرٍ وهو مع رسولِ الله في المسجدِ وبيدها حجرٌ ملءُ الكفِ فقالت: بلغني أن صاحبك هجاني ولأفعلَنّ بهِ وأفعلن. وأعمى الله بصرها عن رسوله ﷺ فقال لها أبو بكرٍ: هل ترينَ معي أحدًا؟ فقالت: أتهزأُ بي لا أرى غيرك. وصارت تذُمُّ رسولَ الله ﷺ، فسكتَ أبو بكرٍ ومضت هي فقال رسول الله ﷺ: «**لَقَدْ حَجَبَتْنِي عَنْهَا مَلَائِكَةٌ فَمَا رَأَتْنِي وَكَفَانِي اللهُ شَرَّهَا**».

الصَّبَاح كَمَا يَقولها من أصابه شيء مكروه للاستغاثة.

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب التفسير، سورة سبأ، (١٨٠٤/٤)، رقم الحديث ٤٥٢٣.

إِيذَاءُ أَبِي جَهْلٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ وإسلامُ حَمزةَ

روي أنَّ أبا جهلٍ مَرَّ برسول الله ﷺ عند الصفا، فآذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه، والتضعيف لأمره؛ فلم يكلمه رسول الله ﷺ، ومَولاةٌ لعبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة في مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرفَ عنه فَعَمَدَ إلى نادٍ من قُريش عند الكعبة، فجلس معهم، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل مُتَوشِّحًا قوسه، راجعًا من قنص له، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على نادٍ من قريشٍ إلا وقف وسَلَّم وتحدث معهم، وكان أعزَّ فتًى في قريشٍ، وأشد شكيمة[1]. فلما مر بالمولاة، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له: يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقي ابنُ أخيك محمدٌ ءانفًا من أبي الحكم بن هشام: وجده هاهنا جالسًا فآذاه وسبه، وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ﷺ.

---

(١) العزة والعزيمة.

فاحتمل حمزةُ الغضبَ لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد، مُعِدًّا لأبي جهلٍ إذا لقيه أن يوقع به؛ فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فرُدَّ ذلك عليَّ إِنِ استطَعْتَ. فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل؛ فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني والله قد سبَبْتُ ابنَ أخيهِ سَبًّا قَبِيحًا، وثبت حمزة رضي الله عنه على كلامه وأسلم، وتابع رسولَ الله ﷺ. ولما أسلمَ حمزةُ عَرَفَتْ قُرَيشٌ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قد عَزَّ وامتَنَعَ، وأن حمزة سيمنَعُهُ، فَكَفُّوا عن بعض ما كانوا يَنَالُونَ مِنهُ[1].

تَوَعُّدُ أَبِي جَهْلٍ النَّبِيَّ عِنْدَ البَيتِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الآيَات

قال أبو جهل: «يـا معشر قريش، إن محمدًا قد أَبَى إلَّا ما ترون

---

(1) **السيرة النبوية**، ابن هشام، (٣١٢/١).

من عيب ديننا، وشَتْمِ ءابائنا، وتَسْفِيهِ أحلامنا، وشَتْمِ ءالهتنا، وإني أعاهد اللهَ لأجلسنَّ له غدًا بحجر ما أطيق حمله ـ أو كما قال ـ فإذا سجد في صلاته فَضَخْتُ به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنعْ بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم»؛ قالوا: والله لا نُسْلِمُكَ لشيء أبدًا، فامض لما تريد.

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرًا كما وصف، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو. وكان رسول الله ﷺ بمكة وقبلته إلى الشام، فكان إذا صلى صلى بين الركن اليمانيّ والحجر الأسود، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، فقام رسول الله ﷺ يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهلٍ الحجرَ، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزمًا منتقعًا[1] لونه مرعوبًا قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجر من يده[2].

قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾ [سورة العلق]

---

(1) أي متغيرًا.

(2) **السيرة النبوية**، ابن هشام، (٢/٢٩٨، ٢٩٩).

نزلت في أبي جهل ـ لعنه الله ـ، تَوَعَّدَ النبيَّ ﷺ على الصلاة عند البيت، فوعظه الله تعالى بالـتي هي أحسن أولًا فقال: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [سورة العلق] أي: فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله، ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴿١٢﴾﴾ [سورة العلق] بقوله، وأنت تزجره وتتوعده على صلاته؛ ولهذا قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴿١٤﴾﴾ [سورة العلق] أي: أَمَا علم هذا الناهي لهذا المهتدي أنَّ الله يراه، ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء. ثم قال تعالى متوعدًا ومتهددًا: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ [سورة العلق] أي: لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد ﴿لَنَسْفَعًۢا[1] بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ [سورة العلق]

---

(١) **نُكتَةٌ لُغَوِيَّة**: نون التوكيد هي نون زائدةٌ تلحق الآخر لفظًا لا خطًّا لغير توكيد. وقولنا «لغير توكيد» لإخراج نون التوكيد عند الكوفيين، إذِ الكوفيون يرسمونها ـ أي نون التوكيد ـ كما في الآية، فرسمت تنوينًا لا نونًا ساكنة، إذ إنَّها لَمَّا كانت ساكنةً في طرف الكلمة ملازمةً للحركة ووُقِفَ عليها بالألف بعد الفتح أشبهت التنوين فرسمت تنوينًا في المصاحف. قال أبو عمرو: واجتمع أيضًا كُتَّابُ المصاحف على رسم النون الخفيفة ألفًا وجملة ذلك موضعان: في يوسف ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴿٣٢﴾﴾ [سورة يوسف] وفي العلق ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴿١٥﴾﴾[سورة العلق] وذلك على مراد الوقف. **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، الداني، (ص٢٣).

أي: لَنَسِمَنَّهَا سوادًا يوم القيامة. ثم قال: ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦﴾ [سورة العلق] يعني: ناصيةُ أبي جهل كاذبةٌ في مقالها، خاطئةٌ في فَعَالها. ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧﴾ [سورة العلق] أي: قومه وعشيرته، أي: لِيَدْعُهُمْ يستنصرُ بهم، ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ [سورة العلق] وهم ملائكة العذاب، حتى يَعلمَ من يغلبُ: أحزبُنا أو حزبه.

ولما سمع أبو جهلٍ ذِكرَ الزَّبَانِية رَجَع فَزِعًا؛ فقيل له: خشيتَ منه، قال: لا ولكن رأيت عنده فارسًا يهددني بالزبانية، فما أدري ما الزبانية، ومال إليَّ الفارس، فخشيتُ منه أن يأكلني.

قال ابن عباس: «والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه»[1].

وفي الأخبار أن الزبانية رؤوسهم في السَّماء وأرجلُهُم في الأرض، فهم يدفعون الكفار في جهنم، وقيل: إنهم أعظم الملائكة خلقًا، وأشدُّهم بطشًا. والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد

وجملة ذلك موضعان أي أنَّ هناك مواضع رُسِمَت فيها النون على غير طريقة الكوفيين وإنّما على طريقة البصريين والله أعلم.

(1) **الدر المنثور**، السيوطي، (٥٦٤/٨).

بطشه[1].

حَدِيثُ ابنِ الْعَاصِ
عَنْ أَشَدِّ مَا رَأَى مِن أذى أذتهُ قُرَيش لِرسُول الله

سأل عروةُ بنُ الزبير رضي الله عنه ابنَ عمرِو بن العاص عن أشدِّ شيءٍ صنعه المشركون بالنبي ﷺ فقال: «بينَا النبيُّ ﷺ يصلي في حِجْر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عُنُقِهِ فخنقه خَنقًا شديدًا فأَقْبَلَ أَبُو بكرٍ حَتَّى أخذ بمنكبِهِ وَدَفَعَهُ عَنِ النبي ﷺ وقال: «أتقتلون رجلًا أنْ يقول ربي الله»[2].

---

(1) **الجامع لأحكام القرءان**، القرطبي، سورة العلق، (١٢٦/٢٠).

(2) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، (١٤٠٠/٣)، رقم الحديث ٣٦٤٣. **دلائل النبوة**، البيهقي، (١٤٨/٢).

تكذيب المشركين لرسول الله ﷺ
ونزول سورة المدَّثِّر

بلغَ الرسولَ ﷺ قولُ كُفَّارِ مَكَّةَ أنت ساحر، فوجد من ذلك غَمًّا وحُمَّ، فتدثَّر بِثِيَابِه، فقال الله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾[سورة المدثر] أي لا تفكر في قولهم، وبَلِّغْهُم الرسالة. وقيل: اجتمع أبو لهب وأبو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وأمية بن خلف والعاص بنُ وَائِل ومطعم بن عدي وقالوا: قد اجتمعت وفود العرب في أيام الحج[1]، وهم يتساءلون عن أمر محمد، وقد اختلفتم في الإخبار عنه؛ فمن قائلٍ يقول مجنون، وءاخرَ يقول كاهن، وءاخرَ يقول شاعر، وتعلم العرب أن هذا كله لا يجتمع في رجل واحد، فسمُّوا محمدًا باسم واحد يجتمعون عليه، وتسميه العرب به، فقام منهم رجل فقال: شاعرٌ؛ فقال الوليد: سمعت كلام ابنِ الأبرص، وأمية بن أبي الصلت، وما يشبه كلام محمد كلام واحد منهما؛ فقالوا: كاهن. فقال: الكاهن يصدق ويكذب وما كذب محمد قطُّ؛ فقام

---

(١) أي ما كانوا يطلقون عليه الحج ويزعمونه عبادة مدعين أن هذا ما تعلموه عن نبي الله ابراهيم، وليس المراد الحج الذي فُرِض على رسول الله محمد ﷺ.

ءاخر فقال: مجنون؛ فقال الوليد: المجنون يخنُق الناس وما خنق محمد قطُّ. وانصرف الوليد إلى بيته، فقالوا: صبأ الوليد بن المغيرة؛ فدخل عليه أبو جهل وقال: مالك يا أبا عبد شمس! هذه قريش تجمع لك شيئًا يعطونكه، زعموا أنك قد احتجت وصبأت. فقال الوليد: ما لي إلى ذلك حاجة، ولكني فكرت في محمد، فقلت: ما يكون من الساحر؟ فقيل: يفرق بين الأب وابنه، وبين الأخ وأخيه، وبين المرأة وزوجها، فقلت: إنه ساحر. شاع هذا في الناس وصاحوا يقولون: إن محمدًا ساحرٌ. ورجع رسول الله ﷺ إلى بيته محزونًا فتدثَّر[1] بقطيفة، ونزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾[2] [سورة المدثر].

---

(١) أي تغطَّى.

(٢) **الجامع لأحكام القرءان**، القرطبي، (٦١/١٩).

استِكْبَارُ قُريشٍ عَنْ أن يُؤمِنُوا بِالرَّسُول ﷺ

لما جاءهم رسول الله ﷺ بما عرفوا من الحقّ وعرفوا صدقَه فيما حدث، وموقعَ نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوا عنه، حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه، فعتوا على الله وتركوا أمرَه عيانًا، ولجوا فيما هم عليه من الكفر، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [سورة فصلت]، أي اجعلوهُ لغوًا وباطلًا واتخذوه هزوًا لعلكم تغلبونه بذلك فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه غلبَكم[1].

تهكُّمُ أَبِي جَهلٍ برسولِ الله ﷺ

قال أبو جهل يومًا وهو يهزأ برسول الله ﷺ وما جاء به من الحق: يا معشر قريش، يزعم محمدٌ إنما جنود الله الذين يعذِّبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وأنتم الناس كثرة وعددًا، أفيعجز كل مائة رجلٍ منكم عن رجل منهم؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك من قوله: ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا

---

(1) **السيرة النبوية**، ابن هشام، (٣١٣/١).

عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴿٣١﴾﴾ [سورة المدثر] إلى ءاخر القصة. فلما قال ذلك بعضُهم لبعضٍ، جعلوا إذا جهر رسول الله ﷺ بالقرءان وهو يصلي يتفرقون عنه ويأبون أن يستمعوا له فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو من القرءان وهو يصلّي استرق السمع دونهم فَرَقًا منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشيةَ أذاهم فلم يستمع، وإن خفض رسول الله ﷺ صوتَه فظنَّ الذي يسمع أنهم لا يسمعون شيئًا من قراءته وسمع هو شيئًا دونهم أصاخ له يستمع منه[1].

(1) **عيون الأثر**، اليعمري، (١/١٤٤).

اتِّفَاقُ مُشرِكِي قُرَيشٍ عَلَى ضَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ تبكي فقالت: تركتُ الـمَلَأَ من قريشٍ قد تعاقدوا في الحجر فحلفوا باللات والعزى ومناة ويساف ونائلة[1] إذا هم رأوك يقومون إليك فيضربونك بأسيافهم فيقتلونك ليس فيهم رجلٌ إلا قد عرف نصيبه منك، قال: «**لَا تَبْكِي يَا بُنَيَّة**»، ثم قام فتوضأ، ثم أتاهم فلما نظروا طأطؤوا ونكسوا رؤوسهم إلى الأرض فأخذ كفًّا من تراب فرماهم به، ثم قال: «**شَاهَتِ الوُجُوهُ**». قال ابن عباس: ما أصاب ذلك الترابُ منهم أحدًا إلا قُتِلَ يومَ بَدرٍ كَافرًا[2].

---

(1) وهي أصنامٌ كانوا يعبدونها ويتقربون إليها.

(2) **دلائل النبوة**، البيهقي، (٣٦/٦). **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، كتاب التاريخ، باب المعجزات، (٤٣٠/١٤)، رقم الحديث ٦٥٠٢.

استِخفَافُ أَبِي سُفيَانَ وَأَبِي جَهلٍ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ

عن أبي إسحاق قال: مرَّ النَّبِيُّ ﷺ على أبي جهل، وأبي سفيان، وهما جالسان، فقال أبو جهل: هذا نبيُّكُم يا بني عبد شمس. فقال أبو سفيان: وتعجب أن يكون منا نبي والنبي يكون فيمن هو أقل منا وأذل. فقال أبو جهل: عجبتُ أن يخرج غلامٌ من بين شيوخٍ نبيًّا، ورسول الله ﷺ يسمع فأتاهم، فقال: «**أَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، فَمَا للهِ وَرَسُولِهِ غَضِبْتَ، وَلَكِنَّكَ حَمِيتَ لِلْأَصْلِ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا الحَكَمِ فَوَاللَهِ لَتَضْحَكَنَّ قَلِيلًا وَلَتَبْكِيَنَّ كَثِيرًا**». قال: بئسما تعدني ابنَ أخي من نبوتك[1].

---

(١) **دلائل النبوة**، البيهقي، (١٥٨/٢).

إِلقَاءُ مُشْرِكِي قُرَيشٍ سَلا جَزُورٍ عَلَى كَتِفَي رَسولِ اللّٰهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يُصلِّي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوسٌ وقد نُحِرَت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيُّكُم يقوم إلى سلا[1] جزور[2] بني فلان فيأخذهُ فيضعَه في كتفَيْ محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائمٌ أنظر، لو كانت لي مَنَعَةٌ طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت هي وجويرية فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا، ثم قال: «**اللّٰهُمَّ عَلَيْكَ**

---

(١) هو الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد من المواشي. **صحيح البخاري**، البخاري، (٣/١٠٧٢).

(٢) مفرد الإبل ذكرًا كان أو أنثى وقيل هي الناقة التي تنحر. **صحيح البخاري**، البخاري، (٣/١٠٧٢).

بِقُرَيْشٍ»، ثلاثَ مراتٍ فَلَمَّا سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ثم قال: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ وُعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ وَأُمَيَّةَ ابْنِ خَلَفٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ**». وذكر السابع ولم أحفظه. فوالذي بعث محمدًا ﷺ بالحقِّ لقد رأيتُ الذين سَمَّى صرعى يومَ بدرٍ ثم سحبوا إلى القَلِيبِ قَلِيبِ بدرٍ[1].

ذِكرُ مَا لَاقَى أَبَا بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ مِن أَذَى المُشرِكِينَ

قالت أمُّ كلثومٍ بنتُ أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: لقد رجع أبو بكر يومئذٍ وقد صدعوا فرق رأسه مما جَبَذُوه بلحيته، وكان رجلًا كثير الشعر. وخَرَّجَ الترمذي الحكيم في نوادر الأصول، من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله

---

(1) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، (١٧٩/٥)، رقم الحديث ٤٧٥٠.

عنه، قال: اجتمعت قريش بعد وفاة أبي طالب بثلاثٍ فأرادوا قتل رسول الله ﷺ، فأقبل هذا يَجَأُهُ وهذا يُتَلْتِلُهُ، فاستغاث النبي ﷺ فلم يغثه أحد إلا أبو بكر وله ضفيرتان، فأقبل يجأ ذا ويُتَلْتِلُ ذا ويقول بأعلى صوته: ويلكم، أتقتلون رجلًا أن يقول: ربي الله، والله إنه لرسول الله، فقطعت إحدى ضفيرتي أبي بكرٍ يومئذ، فقال علي: والله ليوم أبي بكر خيرٌ من مؤمن ءال فرعون، ذاك رجل كتم إيمانه فأثنى الله عليه في كتابه، وهذا أبو بكر أظهر إيمانه وبذل ماله ودمه لله عزَّ وجلّ[1].

قَسوَةُ قُرَيشٍ عَلَى مَن أَسلَمَ

قال ابن إسحاق: «ثم إنهم عَدَوا على من أسلم واتبعَ رسولَ الله ﷺ من أصحابه، فوثبت كل قبيلةٍ على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاءِ

---

(1) **نوادر الأصول في أحاديث الرسول (النسخة المسندة)**، الحكيم الترمذي، (٩٤٩/١).

مكة إذا اشتد الحر»[1].

ما حَدَثَ لبلالِ بنِ رَبَاحٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ

كان بلالٌ مولى أمية بن خلف الجمحى، فكان أمية يضع في عنقه حبلًا، ثم يسلمه إلى الصبيان يطوفون به في جبال مكة، حتى كان يظهر أثر الحبل في عنقه، وكان أمية يشده شدًّا ثم يضربه بالعصا، وكان يلجئه إلى الجلوس في حر الشمس، كما كان يكرهه على الجوع، وأشد من ذلك كله أنه كان يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمدٍ وتعبد اللات والعزى، فيقول ـ وهو في ذلك ـ: أَحَدٌ، أَحَد، حتى نجَّاهُ الله عزَّ وجلَّ بأبي بكر رضي الله عنه فاشتراه بغلَامٍ وقيل بسبعِ أواقٍ أو بخمسٍ من الفضة وأعتقه[2].

---

(1) **السيرة النبوية**، ابن هشام، (٣١٧/١).

(2) **الروض الأنف**، السهيلي، (١١٣/٣).

تَعذِيبُ أَبِي جَهلٍ لِمَن أَسْلَمَ

كان أبو جهل الذي يغري بهم في رجال من قريش، إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أَنَّبَهُ وأخزَاهُ وقال: تركتَ دينَ أبيكَ وهو خيرٌ منك، لنسفهنَّ حلمكَ ولَنُفَيِّلَنَّ رأيك[1]، ولنضعنَّ شرفك، وإن كان تاجرًا، قال: والله لنكسدنَّ تجارتك، ولنهلكنَّ مالك، وإن كان ضعيفًا ضربه وأغرى به[2].

مَا حَدَثَ لِخَبَّابِ بنِ الأَرَت رَضِيَ اللهُ عَنهُ

قال الشعبي: دخل خباب بن الأرت على عمر بن الخطاب فأجلسه على متكئه وقال: ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلا رجل واحد، فقال لـــه خباب: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: بلال، فقال لـــه خباب: يا أمير المؤمنين ما بأحق مني إن بلالًا كان له في المشركين من يمنعه الله به، ولم يكن لي أحد يمنعني، فلقد رأيتني يومًا أخذوني وأوقدوا لي نارًا ثم سلقوني فيها، ثم وضعَ

---

(١) فَيَّلَ رأْيَهُ: ضعَّفَهُ وخطَّأَه.

(٢) **السيرة النبوية**، ابن هشام، (٣٢٠/١).

رجلٌ رجلَهُ على صدري فما اتقيت الأرض أو قال: برد الأرض إلا بظهري، قال: ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد برص[1].

مَا حَدَثَ لِعَمَّارِ بنِ يَاسر وَأَبَوَيهِ

وَهَـذِهِ أسـرة كـاملةٌ ءامنت بالله وتربـع التوحـيد على عــرش قلـوب أصحابـها، فنالها الأذى الشديد من أعداء الله، فكانوا يخرجونهم إلى الأبطح[2] إذا حميت الرمضاء[3] فيعذبونهم بحرها، ومرَّ بهم النبي ﷺ وهم يعذبون فقال: «**صَبْرًا ءَالَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى الجَنَّةِ**»[4].

فأما ياسر فمات في التعذيب، وأما سمية أم عمار فطعنها أبو

---

(1) **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد،** محمد بن يوسف الصالحي، (٣٥٩/٢).

(2) مسيلٌ واسعٌ يحوي حصاةً دقيقة.

(3) شدة الحر.

(4) **حلية الأولياء،** أبو نعيم، (١٤٠/١).

جهل في قلبها فماتت، وشدد العذاب على عمار بالحر تارةً وبوضع الصخر على صدره أخرى، وبالتغـريق ثالثة. وقالوا: لا نتركك حتى تسب محمدًا أو تقول في اللات والعزى خيرًا فوافقهم على ذلك مكرهًا وجاء باكيًا معتذرًا إلى النبي ﷺ فأنزل الله قوله: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [سورة النحل].

نُكتة مُهِمة: الإنسانُ قد يخرج من الإسلام من غير أن يقصدَ الخروجَ منه ومن غير أن يستبدل به دينًا غيره كما هو حال كثيرٍ ممن يدَّعونَ الصوفيةَ وهم يتخبَّطون في الكفر، أي لا يشترط لحصول الكفر أن ينوي الشخص الخروج منه بأن يقول: نويت أن أخرج من دين الإسلام، أو نويت اعتناق دين النصارى، فإن كان الشخصُ يعرفُ أن هذا القول الكفريَّ الذي قاله كفرٌ أو لا يعرف يُحكم عليه بالكفر، إنما الشّرط معرفة معنى اللفظ، وكذلك ليس شرطًا أن يعتقد بقلبه معنى هذا اللفظ بل بمجرد أنه قال ذلك بإرادةٍ وهو يفهم المعنى كفر وخرج من الإسلام.

فليس في قول الله تعالى ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ

أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾[سورة النحل] دليل على ما ادّعاه سيّد سابق من أنَّ الشخص ـ غير المكرَه ـ إذا نطق بكلمة الكفر يُنظَر هل انشرح صدره لما صدر منه أو لا لأنَّ هذا ـ أي الحكمَ ـ وَرَدَ في المُكرَه على كلمة الكفر، فإنَّه لا يكفر إن كان نطقُه بالكفر بدون انشراح صدر لذلك الكفر، وإنَّما يكفر هذا المكرَه إن انشرح صَدرُهُ حالة النطق بالكفر لما قَالَهُ من الكفر، كما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال لعمّار بن ياسر: «**هَلْ كُنْتَ شَارِحًا صَدْرَكَ حِينَ قُلْتَ مَا قُلْتَ أَمْ لَا؟**» فقال: لا، رواه الإمام ابن المنذر في كتابه الإشراف[1]، فحرَّف هذا الرَّجلُ سيد سابق في كتابه «فقه السنة» كلامَ الله تعالى، وألغى بفتواه هذه الحكمَ الشّرعيَّ الذي اتفقَ عليه علماءُ الإسلامِ وجاءت به هذه الآية، ومشى على منواله حسن قاطرجي اللبناني. فليحذر هؤلاء فإنهم حرَّفوا شرعَ الله وخالفوا حكَّامَ المسلمين من الخلفاءِ ونوّابِهم فإنهم لم يكونوا يقولون الشخص الذي تكلمَ بكلمةِ الكفرِ والردةِ عند تقديمه

---

(1) **الإشراف على مذاهب العلماء**، ابن المنذر (٦٢/٨).

إليهم للحكمِ عليه هل كنتَ شارحًا صدركَ بما قلتَ من قول الكفرِ، بل كانوا يُجرونَ عليه حكمَ الرّدة بمجرّدِ اعترافه أو شهادةِ شاهدين عليه بأنه قال كلمة كذا من الكفر.

فالضمير في قوله تعالى ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ﴾ يعود إلى المكرَه الذي انشرح صدره حين النطق فهذا الذي يكفر، فهذا الذي يُشْترط فيه الانشراح، أما غيرُ المكره فليس محلَّ هذه الآية.

وقد ذكر الفقهاء الحنفيُّون والشافعيُّون وغيرهم أمثلة لثبوت الكفر بالقول حين الغضب مما يشهد لعدم اشتراطِ انشراح الصدر لكلمة الكفر لغير المكرَه، ومن ذلك لو أن إنسانًا ضَرَبَ ابنَه أو غلامَه ـ أي عبده ـ ضربًا شَديدًا فقال له رجلٌ أَلَسْتَ مسلمًا؟ فقال «لا» متعمدًا كَفَرَ، ذكره النووي في روضة الطالبين[1] في كتاب الردّة، ومعنى قوله «متعمدًا» أي بغير سبق لسان، وهذا مثالٌ من كثير من أمثلة تكفير مَن نطق بلفظٍ من ألفاظ الردَّة وهو غضبان غير منشرح البال لما يقوله حيث إنهم كَفَّروه لقوله وهو غاضبٌ: «لست مسلمًا».

---

(١) **روضة الطالبين**، النووي، (٢٨٧/٧).

وفيما مرَّ بعض الأمثلة لما تعرّض له الرسول ﷺ والمسلمون في مكة من البطش والتنكيل، وهي غيضٌ من فيض، فقائمة المعذَّبين طَويلةٌ وأَليمة. وحسبهم من ذلك ما أعدّه الله لهم من وافر الأجر وعظيم المنزلة على صبرهم ولم يفرّق المشركون في حملتهم القذرة تلك بين المسلمين المستضعفين من الموالي والأرقاء وبين غيرهم من سادة القوم وأكابرهم، فهذا أبو بكرٍ رضي الله عنه وهو من هو مكانةً في قريش ومنزلةً عند أهلها، ومع ذلك فقد ءاذاه قومه وتعرضوا له بالإيذاء والتنكيل، حتى قام الفاسق عتبة ابن ربيعة وجعل يضربه بنعلين مخصوفين حتى أصبح لا يعرف وجهه من قفاه من شدة الضرب.

إلى غير ذلك من صور الإيذاء والاضطهاد البدني التى تعرض لها رسولُ الله ﷺ وأصحابه، ناهيك عن الإيذاء القولي بالتشنيع عليه تارةً بكونه ساحرًا وتارةً بكونه شاعرًا وتارةً بكونه مجنونًا وغير ذلك.

الباب الثالث

الهِجرَةُ الأُولَى إِلَى الحَبَشَة

اشتدَّ مكرُ قريشٍ وبُغضُهم على المسلمين، وهمُّوا بقتلِ رسولِ الله ﷺ أو إخراجه حين رأَوْا أصحابه يزدادون ويكثُرون، فعرضوا على قومه أن يعطوهم ديته[1] ويقتلوه، فأبى ذلك قومه ومنع الله عزَّ وجلَّ رسولَه بحمية رهطه[2]، واشتدوا على من اتبعه على دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائله، فكانت فتنةً شديدةً وزلزالًا شديدًا، فمنهم من عصم[3] الله، ومنهم من افتتن[4]، فلما حصل ذلك أمرهم رسول الله ﷺ حين دخل الشعب[5] مع بني عبد المطلب بالخروج

---

(١) هي مالٌ يُعطى لولي المقتول مقابل النفس أو مال يعطى للمصاب مقابل إصابة أو تلف عضو من الجسم.

(٢) القوم والأهل والعشيرة.

(٣) أي حفظه الله.

(٤) والفتنة إما أن تكون فتنةً في الدين وهي كفرٌ، وإما أن تكون فيما دون ذلك وهي من الكبائر.

(٥) هو الطريق في الجبل أو الانفراج بين الجبلين.

إلى أرض الحبشة، فقال ﷺ[1]: «**لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى الحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا**». فانطلق إليها عامتهم حين قهروا وخافوا الفتنة ومكث رسول الله ﷺ فلم يبرح[2]، وذلك قبل خروج جعفر بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم إلى أرض الحبشة، إذ إنهم خرجوا إلى الحبشة مرتين، فبعد رجوع الذين خرجوا في المرة الأولى خَرَجَ جعفر وأصحابه حين أنزل الله عزَّ وجلَّ سورة النجم.

قال زين الدين العراقي:

لَمَّا فَشَـــا الإِسْـلَامُ وَاشْـتَـدَّ عَلَى ... مَـنْ أَسْـــلَمَ البَـــلَاءُ هَاجَرُوا إِلَى

أَصْحَـمَـةٍ فِي رَجَبٍ مِنْ سَـــنَـةِ ... خَمْـــسٍ مَضَتْ لَهُـــمْ مِنَ النُّبُوَّةِ

خَمْـسٌ مِنَ النِّسَـــاءِ وَاثْنَا عَشَرَا ... مِنَ الرِّجَـالِ كُلُّهُـمْ قـــدْ هَـاجَرَا

---

(١) **مسند أحمد**، أحمد بن حنبل، مسند الكوفيين، حديث محمد بن حاطب رضي الله عنه، (٤/٢٥٩)، رقم الحديث ١٨٣٠٤.

(٢) أي ما زال عنه وغادره.

عُــثْمَــانُ مَعْ زَوْجَتِـهِ رُقَــيَّــةْ أَسْــبَقُهُمْ لِلْــهِجْرَةِ المَــرْضِـيَّةْ

مُصْعَـبُ وَالزُّبَــيْرُ وَابْـنُ عَـوْفِ وَحَــاطـبٌ فَأَمِـنُـوا مِـنْ خَوْفِ

كَذَا ابْنُ مَظْعُونِ ابْنُ مَسْعُودٍ أَبُو سَــلَمَــةٍ وَزَوْجُـهُ تُصَــاحِــبُ

أَبُــو حُـذَيْـفَــةٍ أَبُـوهُ عُـتْـبَــةُ وَزَوْجُــهُ بِنْـتُ سُــهَيْلٍ سَــهْلَةُ

وَابْـنُ عُــمَيْرٍ هَاشِــمٌ وَعَـامِـرُ اِبْــنُ رَبِيعَةَ الحَلِــيفُ النَّــاصِرُ

وَزَوْجُـهُ لَيْلَى أَبُو سَــبْــرَةَ مَــعْ زَوْجَتِــهِ أَيْ أُمِّ كُلْثُــومٍ جُــمَعْ

فكانت عدَّة المهاجرين إلى أرض الحبشة في المرة الأولى سبعةَ عشر، خمس من النساء واثنا عشر من الرجال.

وما ذُكِر من أن النساء كُنَّ خمسًا هو ما جرى عليه ابن سيِّد الناس مستدركًا على ابن إسحاق في قوله أربعة. وأول من هاجر إليها عثمان ومعه زوجه رقية بنت المصطفى ﷺ.

وممَّن هاجر بنفسه مصعب بن عمير مصغَّرًا ابن عبد مناف، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وحاطب بن عمر، وعثمان بن مظعون، وعبد الله بن مسعود، وهاجر أبو سلمة ابن عبد الأسد المخزومي ومعه زوجته أمّ سلمة هند بنت أبي أمية

المعروف بزاد الركب.

وممن هاجر بنفسه وأهله أبو حذيفة واسمه مهشم أو هشيم أو هاشم عتبة ومعه زوجته وهي بنت سهيل مصغَّرًا ابن عمرٍو واسمها سهلة، ومنهم عامر بن ربيعة حليف ءال الخطَّاب ابن نفيل الناصر لدين الله، واسم زوجة عامر ليلى بنت أبي خيثمة العدوية، وأبو سَبْرة بفتحٍ فسكونٍ ابن عبد العُزَّى العامري ومعه زوجته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو[1].

ادِّعَاءُ المُشرِكِينَ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَدَحَ أَصنَامَهُم وَمَا نَزَلَ مِنَ الآيَات

وكان المشركون يقولون: لو كان هذا الرجل ـ أي محمد ﷺ ـ يذكر ءالهتنا بخير أقررناه وأصحابه.

وكان رسول الله ﷺ قد اشتد عليه ما ناله هو وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم وأحزنَتْهُ ضلالَتُهُمْ وكان يتمنى هداهم، فلما أنزل الله عزَّ وجلَّ سورة النجم قال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ

---

(1) **العجالة السنية**، المناوي، (ص٦٧، ٦٨).

ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة النجم] انتهز الشيطان وقفة رسول الله ﷺ وسكتته فألقى الشيطان عندها كلماتٍ فقال: «تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لهي التي ترتجى»، وكان ذلك من سجع الشيطان موهمًا المشركين أنه صوت النبي ﷺ، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كلِّ مشركٍ بمكة، وزلت بها ألسنتهم وتباشروا بها، وقالوا: إنَّ محمدًا قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه والعياذُ بالله، فأنزل الله هذه الآية ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الحج] لتكذيبهم.

وَمعنَى ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ تلا وقرأ، ومعنى ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أي يزيد الشيطان على ما قالوه ما لم يقولوه ليوهموا غيرهم أن الأنبياء قالوا ذلك الكلام الفاسد، وليس معناه أن الشيطان يتكلم على لسان النبي ﷺ، فقد قال الفخر الرازيّ في التفسير الكبير[1]: «من جوَّز على الرسول ﷺ تعظيم الأوثان فقد كفر»، أي يكفر من قال إن الشيطان أجرى كلامًا على لسان النبي ﷺ هو مدح

(١) **التفسير الكبير**، الرازي، سورة الحج، (٤٤/٢٣).

الأوثان الثلاثة اللات والعزى ومناة بهذه العبارة: «تلك الغرانيق العلى وإنَّ شفاعتهن لترتجَى»، إذ يستحيل أن يُمَكِّنَ اللهُ الشيطانَ مِن أن يُجرِيَ على لسان نبيه مدحَ الأوثان.

وليحذر مما وُجِدَ في بعض كتب التاريخ من أنَّ جبريلَ جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا محمد ماذا صنعتَ؟ لقد تلوتَ على الناسِ ما لم ءاتكَ بِهِ عن الله عزَّ وجلَّ وقلتَ ما لم يُقَل لك، فحزن رسول الله ﷺ عند ذلك حزنًا شديدًا وخافَ من الله خوفًا كثيرًا، والعياذ بالله من هذا الافتراء، فإنَّ جبريل يستحيل عليه ذلك حيث فيه اتهامٌ صريح للنبيِّ ﷺ بالكفر والعياذ بالله، ولا عبرة بما قيل عن جبريل ولو وُجدَ في بعض كتب العلماء، إنما العبرة بما وافقَ الشَّريعةَ.

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ يكشف الله ويبين أنه ليس من كلام الأنبياء، وذلك ابتلاء من الله وامتحان ليتميز من يتّبع ما يقوله الشيطان ومن لا يتبع فيهلك هذا ويسعد هذا.

فلمَّا بَيَّنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قضاءه وبرَّأَ رسوله ﷺ مِن سجع[1] الشيطان، انقلب المشركون بضلالتهم وعداوتهم على المسلمين واشتدوا عليهم.

ذِكْرُ مَن عَادَ مِن أَرضِ الحَبَشَةِ وَخُرُوجِ جَعفَرٍ إِلَيْهَا

أقبل النفرُ من أصحاب رسول الله ﷺ الذين خرجوا من أرض الحبشة لما بلغهم من إسلام أهل مكة ـ وهو خبرٌ غير صحيح ألقاه كفَّارُ قريش حتَّى بلغ الخبرُ المسلمينَ في الحبشة ـ حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن الذى كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلًا فلم يدخل منهم أحد إلا بجوارٍ أو مستخفيًا.

فكان من قدم مكةَ منهم فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة فشهد معه بدرًا من بني عبد شمسِ بن عبد منافِ بن قصيٍّ عثمان بن عفان بن أبي العاص ابن أمية معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة

---

(١) وهو كلامٌ مقفى غيرُ موزون.

بنت سهيل وجماعة أُخَر معهم عددهم ثلاثة وثلاثون رجلًا[1].

وخرج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في رهط[2] من المسلمين إلى أرض الحبشة، وبعثت قريش عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد بن المغيرة، وأمروهما أن يسرعا السَّيرَ، ففعلا وأهدَوْا للنجاشيِّ فرسًا، وجبة ديباج، وأهدوا لعظماء الحبشة هدايا، فلما قدمَا على النجاشي قبل هداياهم، وأجلس عمرو بن العاص على سريره، فقال عمرو: إن بأرضك رجالًا منَّا سفهاء ليسوا على دينكم ولا على ديننا، فادفعهم إلينا، فقالت عظماء الحبشة للنجاشي: أجل فادفعهم إليهم، فقال النجاشي: لا والله، لا أدفعهم إليهم حتى أكلمهم وأعلم على أي شيء هم. فقال عمرو بن العاص: هم أصحاب الرجل الذي خرج فينا، وسنخبرك بما نعرف من سفههم وخلافهم الحق، أنهم لا يشهدون أن عيسى ابن الله، ولا يسجدون لك إذا دخلوا عليك كما يفعل من أتاك في سلطانك.

فأرسل النجاشي إلى جعفر وأصحابه، وأجلس النجاشيُّ

---

(1) **تاريخ الطبري**، الطبري، (٢/٧٧).

(2) وهو الجماعة من الرجال دون العشرة.

عمرَو بنَ العاص على سريره فلم يسجد له جعفر ولا أصحابه، وحيوه بالسلام.

فقال عمرو وعمارة: ألم نخبرك خبر القوم والذي يراد بك؟

فقال النجاشي: ألا تحدثوني أيها الرهط، ما لكم لا تحيوني كما يحييني من أتاني[1] من قومكم وأهل بلادكم وءاخرون؟ وأخبروني: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟ وما دينكم: أنصارى أنتم؟ قالوا: لا. قال: أفيهودُ أنتم؟ قالوا: لا. قال: فعلى دين قومكم؟

---

(١) أي لمَ لا تسجدون لي كما يسجد لي الداخلون عليّ. فقد روى البيهقي بإسناده إلى أبي بردة عن أبيه أنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة، قال: فقدمنا فبعث إلينا قال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد، أنا خطيبكم اليوم. قال: فانتهينا إلى النجاشي، وهو جالس في مجلسه فزبرنا (أي نهرنا وزجرنا) من عنده من القسيسين والرهبان وقالوا: اسجدوا للملك، فقال جعفر: لا نسجد إلا لله. قال له النجاشي: وما منعك أن تسجد؟ قال: لا نسجد إلا لله قال: وما ذاك؟ قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ بعثَ إلينا رسوله، وهو الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم يأتي من بعدي اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئًا، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر. فأعجب النجاشيَّ قولُهُ. **دلائل النبوة**، البيهقي، (٢/١٧٣، ١٧٤).

قالوا: لا. قال: فما دينكم؟ قالوا: الإسلام. قال: وما الإسلام؟ قالوا: نعبد الله وحده لا شريك له ولا نشرك به شيئًا. قال: من جاءكم بهذا؟ قالوا: جاءنا به رجل من أنفسنا قد عرفنا وجهه ونسبه، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا، فأمرنا بالبرِّ والصدق والوفاء وأداء الأمانة، ونهانا أن نعبد الأوثان، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به، فصدقناه، وعرفنا كلام الله تعالى، وعلمنا أن الذي جاء به من عند الله، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبيَّ ﷺ الصادق، وكذَّبوه، وأرادوا قتله، وأرادونا على عبادة الأوثان[1]، ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا، ولو أقرونا استقررنا. فقال النجاشي: والله إن خرج هذا الأمر إلا من المشكاة التي خرج منها أمر عيسى عليه السلام. قال جعفر: وأما التحية فإن رسولنا أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام، وأمرنا بذلك فحيَّيْناك بالذي يحيِّي به بعضُنا بعضًا. وأما عيسى ابن مريم عليه السلام فهو عبد الله ورسوله، وكلمته

---

(١) الأوثان: جمع وَثَن وهو الصنم، وقيل: الوَثَن كلُّ ما لَه جُثَّة مَعْمولة من جَواهِر الأرض أو من الخَشَب والحِجارة، كصُورة الآدَميّ تُعْمَل وتُنْصَب فتُعْبَد وقد يُطْلَق الوَثَن على غير الصُّورة، والصَّنَم: الصُّورة بِلا جُثَّة.

ألقاها إلى مريم وروح منه[1]، وابن العذراء البتول[1]، فخفض

---

(١) وهذا مأخوذٌ من حديثِ رسول الله ﷺ «**من شهِدَ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأنّ محمدًا عبدُه ورسولُه وأنّ عيسى عبدُ اللهِ ورسولُه وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه والجنةَ حقٌّ والنارَ حقٌّ أدخَلَهُ اللهُ الجنةَ على ما كانَ منَ العملِ**». وهذا الحديثُ الصحيحُ اتفق على إخراجهِ البخاريٌّ ومسلمٌ في كتابَيهما المعروفَين بين الأمّةِ الإسلامية، ومعناه يتضمّنُ أنّ الإنسانَ إذا ماتَ وهو يشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وتجنّبَ عبادةَ غيرِه وأنّ محمدًا عبدُه ورسولُهُ، ويشهد أنّ عيسى عبدُ اللهِ ورسولُه، وكلمتُهُ ألقَاها إلى مريمَ وروحٌ منه ويشهَدُ أن الجنةَ حقٌّ وأنّ النارَ حقٌّ ـ أي موجودتان ـ يُدخِلُه اللهُ الجنةَ على ما كان من العملِ أي ولو كانَ من أهل الكبائر.

ومعنى قوله ﷺ: «**وكلمته ألقَاها إلى مريمَ**» أنّ المسيحَ بشارةُ اللهِ لمريمَ التي بشّرتها بها الملائكةُ بأمره قبل أن تحمِلَ به، فإنّ المَلَكَ جبريلَ بشّرها به، قال لها أنا رسولٌ من اللهِ لأعطيَك غلامًا زكيّا أي طيّبًا.

وقوله ﷺ: «**وَرُوحٌ مِنْهُ**» معناه أن روحَ المسيح روحٌ صادرةٌ من اللهِ تعالى خلقًا وتكوينًا، أي روحُهُ روحٌ مشرّفٌ كريمٌ على اللهِ، وإلا فجميعُ الأرواح صادرةٌ من اللهِ تعالى تكوينًا لا فرقَ في ذلك بين روح وروحٍ.

وكلمة «**رُوحٌ مِنْهُ**» ليس معناها أن المسيح عيسى جزءٌ من اللهِ، إنما معناها روحٌ وُجِدَت بإيجادِ اللهِ أي اللهُ أوجدَهَا من العدمِ. فليس معناها أنه جزءٌ من اللهِ كما ادعى بعض ملوكِ النصارى، فقد احتجُّوا بزعمهم بهذه الآية على أن المسيح

النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عودًا وقال: والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود. فقال عظماء الحبشة: والله لئن سمعت هذا الحبشة لتخلعنَّكَ. فقال النجاشي: والله لا أقول في عيسى غير هذا أبدًا، وما أطاع الله عزَّ وجلَّ الناس في حين ردَّ إليَّ ملكي، فأنا أطيع الناس في دين الله؟ معاذ الله من ذلك.

جزء من الله، فردَّ عليهمُ القاضي أبو بكرٍ البَاقِلَّانيُّ بهذه الآية: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ [سورة الجاثية] فسكت ذلك الملك لأن كلمة ﴿مِّنۡهُ﴾ في النصّين موجودة، فكما أنها لا تدل في الآية على أن ما في السموات وما في الأرض جزء من الله كذلك لا تدل كلمة ﴿مِّنۡهُ﴾ في ءاية ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ [سورة النساء] على أن روح عيسى جزء من الله. ومعنى الآية الثانية أنّ الله تعالى سخّر لبني ءادمَ ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه أي أنّ جميع ما في السمواتِ وما في الأرضِ من الله خلقًا وتكوينًا وليس المعنى أنها أجزاءٌ منه تعالى.

فالملائكةُ مسخّرونَ لبني ءادمَ بحفظهم لهم وغيرِ ذلك كإنزالِ المطرِ وإرسالِ الرّياحِ التي ينتفعون بها والدعاءِ لهم أي للمؤمنين من بني ءادمَ خاصّة. وقوله عليه الصلاة والسلام: «**والجنّةَ حقٌّ والنّارَ حق**» معناه أنّهما موجودتان وباقيتان وأنّهما دارَا جزاءٍ، فالجنّةُ دارُ جزاءٍ للمؤمنين والنارُ دارُ جزاءٍ للكافرين.

(١) والبَتُولُ من النساءِ العَذرَاء المنقَطِعة منَ الأزواجِ، وقيلَ هِيَ المنقطعةُ إِلَى الله تعالى عن الدُّنيا. **مختار الصحاح**، الرازي، (ص٦٥).

وكان أبو النجاشي ملك الحبشة، فمات، والنجاشي غلامٌ صغيرٌ، فأوصى إلى أخيه أَنْ إليكَ مُلكُ قومي حتى يبلغ ابني، فإذا بلغ فله الملك، فرغب أخوه في الملك فباع النجاشي من بعض التجار، فقال للتاجر: دعه حتى إذا أردت الخروج فآذِنّي[1] فأدفعَه إليك، فآذَنه التاجر بخروجه، فأرسل بالنجاشي حتى أوقفه عند السفينة ولا يدري النجاشي ما يراد به، فأخذ الله عزَّ وجلَّ عمه الذي باعه صعقًا فمات. فجاءت الحبشة بالتاج فجعلوه على رأس النجاشي، وملكوه.

فلذلك قال النجاشي: والله ما أطاع الله الناس في حين رد الله علي ملكي، وزعموا أن التاجر الذي كان ابتاعه قال: ما لي بد من غلامي الذي ابتعت أو مالي، قال النجاشي: صدقت، فادفعوا إليه ماله.

فقال النجاشي حين كلمه جعفر بما كلمه وحين أبى أن يدفعهم إلى عمرو: أرجعوا إلى هذا هديته ـ يريد عمرو بن العاص ـ، والله لو

---

(١) الأذَانِ والإذن: هو الإعْلامُ بالشيْءِ أو الإخبارُ به وبِاقترابِهِ.

رشوني في هذا دبر ذهب ـ والدبر في لسان الحبشة الجبل ـ ما قبلته.

وقال لجعفر وأصحابه: امكثوا فإنكم سُيوم، والسُّيوم الآمِنون، قد منعكم الله عزَّ وجلَّ.

وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق وقال: من نظر إلى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد رغم، أي فقد عصاني.

وكان الله عزَّ وجلَّ قد ألقى العداوة بين عمرو بن العاص وعمارة في مسيرهما قبل أن يقدما إلى النجاشي، ثم اصطلحا حين قدما على النجاشي ليدركا حاجتهما التي خرجا إليها من طلب المسلمين، فلما أخطأهما ذلك رجعا إلى أشد ما كانا عليه من العداوة وسوء ذات البين، فمكر عمرو بعمارة، فقال: يا عمارة إنك رجلٌ جميلٌ فاذهب إلى امرأة النجاشي فتحدث عندها إذا خرج زوجها؛ فإن ذلك عونٌ لنا في حاجتنا، فراسلها عمارة حتى دخل عليها، فلما دخل عليها انطلق عمرو إلى النجاشي، فقال له: إن صاحبي هذا صاحب نساء، وإنه يريد أهلك ؛ فاعلم علم ذلك.

فبعث النجاشي فإذا عمارة عند امرأته، فأمر به فنفخ في إحليله، ثم ألقي في جزيرة من البحر فجن واستوحش مع الوحش، ورجع عمرو إلى مكة قد أهلك الله صاحبه وخَيَّبَ مسيرَهُ ومنعَهُ

حاجتَه.

وحين ظهرَ خبرُ رسول الله ﷺ في الحبشة قدمَ عليه ﷺ ـ وهو بمكة ـ عشرون رجلًا أو قريبٌ من ذلك من النصارى وهم وفد نجران، فوجدوه في المجلس فكلموه وساءلوه ورجالٌ من قريشٍ في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عزَّ وجلَّ[1] وتلا عليهم القرءان، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وءامنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره.

فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفرٍ من قريشٍ فقالوا: خيبكم اللهُ مِن رَكب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركبًا أحمق منكم، أو كما قالوا لهم.

---

(1) أي إلى الإسلام.

فقالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نألوا أنفسنا خيرا.

قال زين الدين العراقي في ألفيته[1]:

وَجَاءَ مِنْ نَجْرَانَ قَوْمٌ أَسْلَمُوا عِدَّتُهُمْ عِشْرُونَ لَمَّا عَلِمُوا

بِصِدْقِهِ جَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَسَبْ وَأَقْذَعَ القَوْلَ لَهُمْ بِلَا سَبَبْ

فَأَعْرَضُوا وَقَوْلُهُمْ سَلَامُ لَيْسَ لَنَا مَعْ جَاهِلٍ كَلَامُ

ولما رجع عمرو بن العاص من أرض الحبشة إلى مكة جلس في بيته، فلم يخرج إلى قومه، فقالوا: ما شأنه؟ ما له لا يخرج؟ فقال عمرو: «إنَّ أصحمة يزعم أنَّ صاحبكم نبي»[2].

مَا جَاءَ فِي كِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلى النَّجَاشِيِّ

بعث رسول الله ﷺ عمرَو بن أمية الضمري إلى النجاشيِّ في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتابًا: بسم الله

---

(1) **العجالة السنية**، المناوي، (ص٦٢).

(2) **دلائل النبوة**، البيهقي، (١٨١/٢).

الرحمن الرحيم من **محمَّدٍ** رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة[1]، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى [ابن مريم] روح الله[2] وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخته كما خلق ءادم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته، وأن تتبعني فتؤمن بي

---

(١) في **دلائل النبوة** للبيهقي: من **محمد** رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة. **دلائل النبوة**، البيهقي، (١٨٢/٢). وفي **المستدرك** للحاكم: النجاشي الأصحم عظيم الجيش. **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، من كتاب الهجرة الأولى إلى الحبشة، (٦٧٩/٢)، رقم الحديث ٤٢٤٤.

(٢) فعيسى عليه السلام هو نعمةٌ من الله لخلقه ورحمةٌ، وروح عيسى روحٌ مشرَّفٌ عند الله، لأنَّ عيسى نبيٌّ رسولٌ، وأرواح الأنبياء مشرفةٌ عند الله، فهو كما في الحديث الذي مرَّ: «**وروحٌ منه**»، أي روحٌ صادرةٌ من الله خلقًا وتكوينًا، وليس على معنى الجزئية ولا على معنى إضافة الروح إلى الله لأنَّ الله ليس روحًا ولا يشبه الأرواح وليس له روح. بل قال العلماء: من سمَّى الله روحًا أو نسب الروح إلى الله كفر.

وبالذي جاءني، فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا ومعه نفرٌ من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرهم ودع التجبُّرَ فإني أدعوك وجنودك إلى الله عزَّ وجلَّ[1]، وقد بلَّغتُ ونصحتُ فاقبلوا نصيحتي، والسَّلام على من اتبع الهدى[2].

مَا جَاءَ فِي كِتَابِ النَّجَاشِيّ إِلى النَّبِيّ ﷺ

فكتب النجاشي إلى رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته، لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثتَ به إلينا وقرينا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقًا ومصدقًا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك يا نبي الله بأَريحا بن الأصحم بن

---

(١) أي إلى الإسلام.

(٢) **البداية والنهاية**، ابن كثير، (٢٧١/١٥ ـ ٢٧٣).

أبجر فإني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن ءاتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حقٌّ[1].

النَّجَاشِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَسْلَمَ وحَسُنَ إِسْلَامُهُ

اتَّبعَ أصحَمةُ النّجاشيُّ ملكُ الحبشةِ الرسولَ اتباعًا كاملًا وماتَ في حياةِ رسولِ الله ﷺ وصلَّى عليه الرسولُ صلاةَ الغائبِ يومَ ماتَ، أوحى الله إليه بموتِهِ، قالَ ﷺ: «**مَاتَ اليَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ**»[2]. ثم كان يُرى على قبرِهِ في الليالي نورٌ[3] وهذا دليلٌ أنه صارَ مسلمًا كاملًا وليًّا مِن أولياءِ الله رضيَ الله عنه. وأصحمة اسم النجاشيّ.

---

(1) **البداية والنهاية**، ابن كثير، (٢٧٣/١٥).

(2) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب موت النجاشي، (١٤٠٧/٣)، رقم الحديث ٣٦٦٤.

(3) وهذا وَرَدَ عن أمِّ المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها، ونصّ قولها: «لما مات النجاشي، كنا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور». **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، (٤٣٠/١).

ويقع قبر النجاشي في شمالي إثيوبيا حيث قرية نجاش على بعد ٦٠ كيلومترًا شمال مدينة مقلي عاصمة إقليم تجراي، ويحيط بتلك القرية عدة قرى أخرى يسكنها أحفاد بعض الصحابة الكرام الذين هاجروا إلى الحبشة واستقروا هناك.

وموقع قبر ومقام النجاشي رضي الله عنه والذي يسميه الناس هناك أحمد النجاشي على قمة هضبة تجعله يقع في بصرك حيثما كنت، ويقع الضريح داخل المسجد الجديد الذي بني على مقربة من المسجد القديم الذي بناه الصحابة المهاجرون، والذي يعتبر من المساجد القديمة، إذ إنه شُيِّدَ قبل الهجرة النبوية، وكان رسول الله ﷺ والصحابة الكرام ءانذاك يؤدُّون صلاتهم بدار الأرقم. ولا يزال هذا المسجد بحال جيدة وكأنه بني بالأمس، ويتسع لحوالي ٤٠٠ مصلٍ.

وبالقربِ من قبرِ النَّجَاشيّ رضي الله عنه يوجد ضريحُ الصحابيّ عدي بن النضير رضي الله عنه الذي ماتَ قبلَ النجاشيّ، وشاركَ النجاشيُّ نفسُهُ في دفنه.

الباب الرابع

الهِجرَةُ الثَّانِيَةُ

إِلَى الـمَدِينَةِ الـمُنَوَّرَة

جعلَ البلاءُ يشتدُّ على المسلمين من المشركين لِمَا يعلمون من خروجهم فضيَّقوا على أصحاب رسول الله ﷺ وتعبثوا بهم، ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالون من الشتم والأذى، فشكا ذلك أصحاب رسول الله ﷺ واستأذنوه في الهجرة، فقال: «**إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ**»[1]، ثم مكث أيامًا ثم خرج إلى أصحابه مسرورًا فقال: «**قَدْ أُخْبِرْتُ بِدَارِ هِجْرَتِكُمْ وَهِيَ يَثْرِبُ، فَمَنْ أَرَادَ الخُرُوجَ فَلْيَخْرُجْ إِلَيْهَا**»[2]. فجعل القوم يتجهزون ويترافقون ويَتَواسَوْنَ ويخرجون ويُخْفُونَ ذلك.

ذِكْرُ أَوَّلِ مَنْ قَدِمَ المَدِينَةَ

كان أولَ من قَدِمَ المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ أبو سلمة

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، (١٤١٧/٣)، رقم الحديث ٣٦٩٢.

(٢) **الطبقات الكبرى**، ابن سعد، ذكر إذن رسول الله ﷺ للمسلمين في الهجرة إلى المدينة، (٢٢٦/١).

ابن عبد الأسد[1]، فقد هاجر إلى المدينة قبل بيعة العقبة بسنة، وحُبِسَت عنه امرأته أمُّ سلمةَ هندُ بنتُ أبي أمية بنِ المغيرة بمكة نحوَ سنةٍ ثم أَذن لها بنو المغيرة الذين حبسوها في اللحاق بزوجها فانطلقت وحدها مهاجرةً، حتى إذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار ـ وكان يومئذٍ مشركًا وأسلم بعد ذلك ـ، فشيعها حتى إذا أوفى على قرية بني عمرو بن عوف بقباءَ قال لها: هذا زوجك في هذه القرية. ثم انصرف راجعًا إلى مكة، فكانت تقول: ما رأيت صاحبًا قط كان أكرمَ من عثمانَ بن طلحة، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتى إذا نزلت عنه استأخر ببعيري فحطَّ عنه ثم قيده في الشجرة، ثم أتى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحَّله، ثم استأخر عني وقال: اركبي. فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة.

وقيل: أولُ المهاجرين مصعب بن عمير. فعن البراء بن عازب قال: أولُ من قدم علينا مصعب بن عمير وابن مكتوم ثم قَدِمَ علينا

---

(1) بسين ودال مهملتين.

عمار بن ياسر وبلالٌ رضي الله عنهم[1].

وروى ابن إسحاق وابن سعد أنَّ أولَ من قَدِمَهَا من المهاجرين بعد أبي سلمة: عامر بن ربيعة وهو حليف بني عدي ابن كعب، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمَةَ[2] قالا: وهي أول ظعينة قدمت المدينة[3].

ذِكرُ مَا جَاءَ فِي هِجْرَةِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ

عن عبد الله بن مسعودٍ قال: كان إسلامُ عمر فتحا وكانت هجرتُهُ نصرًا وكانت إمارتُهُ رحمةً، ولقد رأيتُنَا وما نستطيع أن نصليَ في البيتِ حتى أسلمَ عمرُ، فلمَّا أسلمَ عمر قاتَلَهُم حتى تركونا

---

(1) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، (١٤٢٨/٣)، رقم الحديث ٣٧٠٩.

(2) بالحاء المهملة المفتوحة وسكون الثاء المثلثة.

(3) **الطبقات الكبرى**، ابن سعد، ذكر إذن رسول الله ﷺ للمسلمين في الهجرة إلى المدينة، (٢٢٦/١).

فصلَّيْنَا[1].

وروى عبد الله بن العباس عن عليّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ما علمتُ أن أحدًا من المهاجرين هاجرَ إلَّا مختفيًا إلا عمر بن الخطاب فإنه لَمَّا هَمَّ بالهجرة تقلد سيفَهُ، وتنكب قوسَه، وانتضى في يده أسهُمًا، واختصر عنزتَه، ومضى قِبَلَ الكعبة والملأ من قريش بفِنائها، فطاف بالبيت سبعًا متمكنًا، ثم أتى المقام فصلى متمكنًا، ثم وقف على الحِلَقِ واحدةً واحدةً، وقال لهم: شاهت الوجوه لا يُرْغِمُ الله إلا هذه المعاطسَ، من أراد أن تَثْكُلَهُ أمهُ، ويُوْتِمَ ولدهُ، وتُرَمَّلَ زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي، قال علي: فما تَبِعَهُ أحدٌ إلا قوم من المستضعفين علَّمهم وأرشدهم ومضى لوجهه[2].

وعن عبد الله بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: اتَّعَدْتُ لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياشُ بن أبي ربيعة وهشام بن العاص بن وائل السهمي التناضُبَ من أَضَاةِ بني غِفَارٍ

---

(1) **أسد الغابة**، ابن الأثير، (١٦٤/٤).

(2) **أسد الغابة**، ابن الأثير، (١٦٣/٤، ١٦٤).

فوق سَرَفٍ[1]، وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حُبِسَ فليمضِ صاحباه.

قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب وفطن لهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وفُتِنَ فافْتَتَنَ.

ثم إن أبا جهلٍ والحارثَ بن هشام ـ وأسلمَ الحارثُ بعد ذلك ـ خرجا حتى قدما المدينة، ورسول الله ﷺ بمكة، فقالا لعياش بن أبي ربيعة ـ وكان ابنَ عمهما وأخاهما لأمهما ـ: إن أمكَ قد نذرت ألا يمس رأسَها مُشْطٌ حتى تراك ولا تستظلَّ من شمسٍ حتى تراك، فرقَّ لها.

فقلت له: يا عياش إنه والله إنْ يريدُك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد ءاذى أُمَّكَ القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حرُّ مكة لاستظلت.

فقال: أَبَرُّ قَسَمَ أمي، ولي هنالك مالٌ فآخُذُهُ.

فقلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريشٍ مالًا فلك نصف مالي ولا تذهبْ معهما.

---

(1) موضعٌ بمكة قرب التنعيم.

فأبى عياش إلا أن يخرج معهما.

فلما أبى إلا ذلك قلت: أما إذا قد فعلتَ ما فعلتَ فخذ ناقتي هذه فإنها ناقةٌ نجيبةٌ ذلولٌ فالزم ظهرها، فإنْ رَابَكَ من القوم ريب فانج عليها، فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: والله يا أخي لقد استغلظتُ بعيري هذا، أفلا تُعْقِبُنِي على ناقتك هذه؟

قال: بلى.

قال: فأناخ وأناخ ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عَدَوَا عليه فأوثقاه رباطًا وفتناه فافتتنَ ودخلا به مكة نهارًا موَثقًا، ثم قالا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا.

قال عمر: فكنَّا نقول: ما الله تعالى بقابل ممن افتتن صَرْفًا ولا عدلًا ولا توبة، قومٌ عرفوا اللهَ ثم رجعوا إلى الكفر لبلاءٍ أصابهم.

قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم.

فلما قدم النبي ﷺ المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿۞قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ

إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الزمر].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاصي.

قال: فقال هشام: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طُوًى أصعد بها فيه وَأصوبُ ولا أفهمها حتى قلت: اللَّهُمَّ فَهِّمْنِيها.

قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا.

قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ.

هذا ما ذكره ابن إسحاق في شأن هشام.

قال ابن هشام: فحدثني من أثق به أن رسول الله ﷺ قال وهو بالمدينة: «**مَنْ لِي بِعَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَهِشَامِ بْنِ العَاصِي؟**»، فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة: أنا لك يا رسول الله بهما.

فخرج إلى مكة فقدمها مستخفيًا، فلقي امرأةً تحمل طعامًا فقال لها: أين تريدين يا أمة الله؟ قالت: أريد هذين المحبوسين،

تعنيهما. فتبعها حتى عرف موضعهما، وكانا محبوسين في بيت لا سقف له، فلما أمسى تسور عليهما ثم أخذ مَرْوَةً فوضعها تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما، فكان يقال لسيفه: ذو المروة، لذلك، ثم حملهما على بعيره وساق بهما فَعَثَرَ فدميت إصبعه فقال: هل أنت إلا إصبعٌ دَمِيتِ؟ وفي سبيل الله ما لقيتِ.

ثم قدم بهما على رسول الله ﷺ، ثم تتابع المهاجرون أرسالًا فنزل طلحة بن عبيد الله وصهيب بن سنان على خبيب[1] بن إساف[2] بالسنح، ويقال: بل نزل طلحة بن عبيد الله على أسعد بن زرارة.

وروى ابن عساكر[3] عن سعيد بن المسيب أن صهيبًا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكًا حقيرًا فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله

---

(١) بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة.

(٢) بكسر الهمزة.

(٣) **تاريخ دمشق**، ابن عساكر، حرف الصاد، صهيب بن سنان، (٢٢٦/٢٤).

لا يكون ذلك. فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟

قالوا: نعم.

قال: فإني جعلت لكم مالي.

قال: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**رَبِحَ صُهَيْبٌ، رَبِحَ صُهَيْبٌ**»[1].

اِستِئذَانُ أَبِي بَكرٍ رَسولَ اللهِ ﷺ بِالهِجرَةِ بَعدَ عَوْدَتِهِ مِنَ الحَبَشَةِ

بَعْدَمَا زَادَ البلاءُ على المسلمين خرج أبو بكرٍ رضي اللَّه عنه مهاجرًا نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغَ بِرْكَ الغُمَاد[2]، لقيه ابنُ

---

(1) **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، (٥٥٧/١٥)، رقم الحديث ٧٠٨٢.

(2) مثلثة الغين.

الدُّغُنَّة[1] ـ وهو سيد القَارَةِ[2] ـ فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي، فقال ابن الدّغنّة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرُجُ ولا يُخرَج، أنت تُكْسِب المعدوم، وتصل الرحم وتحمِلُ الكَلَّ، وتَقْرِي الضيفَ، وتُعِينُ على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربَّك ببلدك، فرجع، وارتحل معه ابن الدّغنّة فطاف ابن الدّغنّة عشيةً في أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرِج، أَتُخْرجون رجلًا يُكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكلّ، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق، فلم تَكذب قريش بجوار ابن الدّغنّة. وقالوا لابن الدّغنّة: مر أبا بكر فليعبد ربّه في داره، فليصلّ فيها، وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتِنَ نساءنا وأبناءنا، فقال ذلك ابن الدّغنّة لأبي بكر، فلبث أبو بكر رضي اللَّه عنه، يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا

---

(1) ذكر في الفتح أنها هكذا عند الرواة وعند أهل اللغة الدغنة. أي يضبطونها: دُغنَة كحُزمَة، أو دَغِنَة ككَلِمَة.

(2) هي قبيلة موصوفة بجودة الرمي.

يقرأ في غير داره.

ثم بدا لأبي بكر، فابتنى مسجدًا بفناء داره، وكان يصلي فيه، ويقرأ فيه القرءان، فينقذف[1] عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون منه وينظرون إليه.

وكان أبو بكر رجلًا بكَّاءً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرءان، فأفزع ذلك أشرافَ قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدّغنّة، فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك، على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجدا بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يَفتِن نساءنا وأبناءنا، فانهه، فإن أقام على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك، فسله أن يرد ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نُخْفِرَكَ، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدّغنّة أبا بكر رضي اللَّه عنه فقال: قد علمت الّذي عاقدتُ لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما

---

(١) أي يتدافعون ويزدحمون.

أن ترجع إليّ ذمتي، فإنّي لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرْتُ[1] في رجل عَقَدْتُ له، فقال أبو بكر: إني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار اللَّه[2]، والنبي ﷺ يومئذٍ بمكة. فقال النبي ﷺ للمسلمين: إنِّي أُرِيتُ دارَ هجرتكم، ذاتَ نخلٍ بين لابتين؛ فهاجر من هاجر قِبَل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة كما تقدّم.

وتجهّز أبو بكر قِبَلَ المدينة، فقال له ﷺ: «**عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي**»[3]، فقال أبو بكر رضي اللَّه عنه: وهل ترجو ذلك؟ بأبي أنت! قال: «**نَعَمْ**». فحبس أبو بكر نفسه على رسول اللَّه ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده وَرَقَ السَّمُر ـ وهو الخَبْط[4] ـ أربعةَ أشهر.

---

(١) أي نقضتُ العهد.

(٢) أي أمانه وحمايته. **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، (٣٦١/٢١).

(٣) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده، (٨٠٣/٢)، رقم الحديث ٢١٧٥.

(٤) وهو ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر.

خَوفُ قُرَيشٍ مِن خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِن مَكَّةَ

لما رأت قريش أنَّ رسول الله ﷺ قد كانت له شيعةٌ وأصحابٌ من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارًا وأصابوا جوارًا ومنعةً، فَحَذِروا خروج رسول الله ﷺ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا له في دار الندوة ـ وهي دار قصـي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضى أمرًا إلا فيها ـ يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر النبي ﷺ حين خافوه.

فاجتمعوا لذلك واتعدوا، وكان ذلك اليومُ يسمى يوم الزحمة. فاعترضهم إبليس ـ لعنه الله ـ وكان بصورة شيخ نجدي، فوقف على باب الدار، فلما رأوه واقفًا على بابها قالوا: من الشيخ؟

قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى ألا تعدَموا منه رأيًا ولا نصحًا.

قالوا: أجل فادخل.

فدخل معهم، وقد اجتمع فيها رجال من قريش:

من بني عبد شمس: عتبةُ بن ربيعة وشيبةُ بن ربيعة وأبو سفيان بنُ حرب وأسلم بعد ذلك.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: طُعَيْمَةُ بن عدي، وجبير بن مطعم وأسلم بعد ذلك، والحرث بن عامر بن نوفل.

ومن بني عبد الدار بن قصي: النضر بن الحارثِ بن كَلَدَة.

ومن بني أسد بن عبد العزى: أبو البَخْتَرِيّ بنُ هشام، وزَمْعَةُ بن الأسود وأسلم بعد ذلك، وحكيم بن حزام وأسلم بعد ذلك.

ومن بني مخزوم: أبو جهل بن هشام.

ومن بني سهم: نُبَيْهٌ ومُنَبِّهٌ ابنا الحجاج.

ومن بني جُمَحَ: أمية بن خلف، ومن كان معهم.

وغيرهم من رجال قريش.

فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قـد كان من أمره ما قد رأيتم، وإنا والله ما نـأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا، فَأَجْمعوا فيه رأيًا.

فتشاوروا ثم قال قائل منهم ـ وهو أبو البختري بنُ هشام فيما نقله السهيلي عن ابن سلام ـ: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابًا، ثم تربَّصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والنابغة ومن مضـى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم.

فقال الشيخ النجدي ـ لعنه الله ـ: لا والله ما هذا لكم

برأي، والله لو حبستموه كما تقولون لَيَخْرُجَنَّ أمرُهُ من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلَأَوْشَكُوا أن يَثِبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي فانظروا في غيره.

فتشاوروا، ثم قال قائل منهم ـ وهو أبو الأسود ربيعة بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي فيما ذكر السهيلي ـ: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا، فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وأُلْفَتَنَا كما كانت.

فقال الشيخ النجدي: لا والله، ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته قلوبَ الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أَمنتم أن يحُلَّ على حي من العرب فيغلبَ عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسيرَ بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم، فيأخذَ أمركم من أيديكم، ثم يفعلَ بكم ما أراد، دبروا فيه رأيًا غيرَ هذا.

فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه لرأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعد.

قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟

قال: أرى أن تأخذوا من كل قبيلةٍ فتًى شابًّا جلدًا نسيبًا وسيطًا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يَعْمِدُوا إليه بأجمَعِهِمْ فيضربوه بها ضربةَ رجلٍ واحدٍ، فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعًا، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا، فرَضُوا منا بالعَقْل فَعَقَلناه لهم.

فقال الشيخ النجدي ـ أخزاه الله ـ: القولُ ما قال الرجل، هذا الرأي لا أرى غيره.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [سورة الأنفال].

وتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له.

فأتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، وأخبره بمكر القوم[1].

وأما بالنسبة لقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ٣٠﴾[سورة الأنفال]. فإنه لا يخفى على ذي لبٍّ وعقلٍ سليمٍ أنَّ المكرَ من الخَلْقِ خُبْثٌ وخِداعٌ لإيصال الضّـرر إلى الغير

---

(1) **سبل الهدى والرشاد**، الصالحي، (٣/٢٣١، ٢٣٢).

باستعمال حيلةٍ، وأمَّا
مِن الله تعالى فهو غير ذلك، إنما هو مُجازاةُ الماكرين بالعُقوبة من حيث لا يدرون.

وبعبارة أخرى نقول: إنَّ الله أقوى في إيصال الضَّـرر إلى الماكرين من كل ماكر، جزاءً لهم على مَكرِهم، أما المكرُ بمعنى الاحتيال فهو مستحيل على الله. قـال القرطبي في جامعه[1]: «والمكر من الله هو جزاؤهم بالعذاب على مكرهم من حيث لا يشعرون».

وكذا ورد في القرءان الكريم ءاية ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴿١٥﴾﴾ [سورة البقرة]، فالمعنى أن الله يجازيهم على استهزائهم بالمؤمنين فينتقم منهم.

ففي هذه الآية ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴿٣٠﴾﴾[سورة الأنفال] أسندَ اللهُ إلى نفسه المكرَ، ومكرُ اللهِ ليس كمكرِ العباد، مكرُ الإنسان أن يُحاولَ إيصالَ الضَّررِ إلى إنسانٍ بطريقةٍ خفيَّة يحتاجُ فيها إلى استعمال بعض الحيلِ، أما مكرُ الله فليس هكذا، مكرُ الله هو إيصالُ الضّـرر إلى من يشاءُ من عباده

---

(1) **الجامع لأحكام القرءان**، القرطبي، (٣٩٧/٧).

من حيثُ لا يعلم ذلك العبد ولا يظنُّ ولا يحتسبُ أن الضّـرَرَ يأتيهِ من هنا.

فمكر العبدِ مذمومٌ أما مكرُ الله فلا يُذَمُّ لأنَّ الله لا يجوز عليه الظلمُ، لا يكونُ ظالـمًا إن انتقمَ من عبادِهِ الظالمين بما شاء.

ويكفر من يسمي الله «ماكرًا» لأنه لا يدل على المدح والكمال، فلا يُؤخذ الماكر اسمًا لله من هذه الآية كما ظنَّ بعض الكفار ولا تعطي هذا المعنى بالمرة.

اِجتِمَاعُ الـمُشرِكِينَ حَولَ بَيتِ الرَّسُول ﷺ لِقَتلِهِ ونَومُ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ مَكَانَ رَسُولِ اللهِ ﷺ

لَمَّا كانت العتمةُ من الليل اجتمع المشركون على باب رسول الله ﷺ يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: «**نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَجَّ بِبُرْدِي هَذَا الحَضْرَمِيِّ الأَخْضَرِ فَنَمْ فِيهِ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ**». وكان رسول الله ﷺ ينام في بُرده ذلك إذا نام.

فلما اجتمعوا قال أبو جهل بن هشام: إن محمدًا يزعم أنكم

إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم، فجُعلت لكم جِنانٌ كجنان الأُرْدُنّ، وإن أنتم لم تفعلوا كان فيكم ذَبْحٌ، ثم بُعثتم من بعد موتكم فجُعلت لكم نارٌ تحرقون فيها.

فخرج عليهم رسولُ الله ﷺ فأخذ حَفنةً من ترابٍ في يده، وَأَخَذَ اللهُ عزَّ وجلَّ على أبصارهم عنه فلم يروهُ فجعل يذري ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٩﴾ [سورة يس].

فلم يبق منهم رجلٌ إلا وقد وضعَ رسول الله ﷺ على رأسه ترابًا، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب.

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ههنا؟

قالوا: محمدًا.

قال: خيبكم الله، قد والله خرج عليكم محمدٌ ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابًا وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟

فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليًّا على الفراش متسجيًا ببرد رسول الله ﷺ، فيقولون: والله إن هذا لمحمدٌ نائمًا عليه بُردُه.

فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا، فقام عليّ رضي الله عنه من الفراش. فقالوا: والله لقد صَدَقَنا الذي كان حَدَّثَنَاه.

قالت عائشة رضي اللَّه عنها: فبينما نحن يومًا جلوسٌ في بيت أبي بكر في نحو الظهيرة[1]، وقال قائل لأبي بكر: هذا رسول اللَّه ﷺ متقنعًا[2]، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداءٌ له أبي وأمي، ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر؟!

قالت: فجاء رسول اللَّه ﷺ فاستأذن، فأذن له، فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**»[3]، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه، قال: «**فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي**

---

(1) أول الزوال عند شدة الحر.

(2) أي مغطِّيًا رأسه.

(3) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده، (٨٠٣/٢)، رقم الحديث ٢١٧٥.

الخُرُوجِ»، فقال أبو بكر: الصحابة[1]، بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه، فقال رسول ﷺ: «**نَعَمْ**».

دُخُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبِهِ غَارَ ثَوْرٍ وَمَا نَزَلَ مِنَ الآيَاتِ

بعد أن خرج رسول الله ﷺ من بيته وأعمى اللهُ بصرَ المشركين عنه وجاء أبا بكرٍ، قال الصديق رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: فَخُذْ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتيَّ هاتين، قال رسول الله ﷺ: «**بِالثَّمَنِ**».

قالت عائشة فجهزْنَاهما أحثَّ[2] الجَهَاز[3] وصنعنا لهما

---

(١) أي أريد مصاحبتك.

(٢) من الحث وهو الإسراع.

(٣) هو ما يحتاج إليه في السفر.

سُفْرَةً[1] في جراب[2]، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعةً من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سُمِّيَت ذاتَ النطاقين.

قالت عائشة: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور فكَمَنَا[3] فيه ثلاث ليالٍ يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر ـ وهو غلام شاب ثَقِفٌ[4] لقن[5] ـ فَيُدلج[6] من عندهما بسحرٍ فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرًا يُكْتَادَان[7] به إلا وعاه[8] حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما

---

(1) هي الزاد الذي تصنع للمسافر.

(2) هو وعاء يحفظ فيه الزاد ونحوه.

(3) أي فمكثا مختفيين.

(4) أي حاذقٌ فطنٌ.

(5) أي سريع الفهم حسن التلقي لما يسمعه ويعلمه.

(6) أي يخرج وقت السحر منصرفًا إلى مكة.

(7) أي يدبر بشأنهما ويمكر به لهما ويسبب لهما الشر والأذى.

(8) أي حفظه.

عامر بن فهيرة مولى أبي بكر مِنحةً[1] من غنم فيريحها[2] عليهما حين تذهب ساعةٌ من العشاء فيبيتان في رِسْلٍ[3] وهو لبنُ مِنْحَتِهِمَا ورضيفهما[4] حتى ينعق[5] بها عامر بن فهيرة بِغَلَسٍ[6]، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث.

واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلًا من بني الدِّيل ـ وهو من بني عبد بن عدي ـ هاديًا خِرِّيتًا ـ والخريت الماهر بالهداية ـ قد غَمَسَ حِلْفا في ءال العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فَأَمِنَاهُ فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث

---

(1) هي الناقة أو الشاة يعطى لبنها ثم جعلت كل عطية منحة وكذلك تطلق على كل شاة.

(2) من الرواح وهو السير في العشي.

(3) وهو اللبن الطري.

(4) هو اللبن الذي جعل فيه الرَّضْفَة وهي الحجارة المحماة لتذهب وخامته وثفله وقيل الرضيف الناقة المحلوبة.

(5) أي يصبح بغنمه.

(6) هو ظلام آخر الليل.

ليال، فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل[1].

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة التوبة]، وقوله تعالى ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴿٤٠﴾﴾أي إنَّ الله حافظنا وناصرنا ومؤيدنا. وليس معنى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴿٤٠﴾﴾ أنَّ الله حلَّ مع الرسول ﷺ وأبي بكرٍ في الغار، حاشا لله، فالله تعالى منزه عن ذلك، فهو عزَّ وجلَّ لا يحلُّ في شيء ولا يحل فيه شيء ولا ينحلُّ منه شيء لأنه ليس كمثله شيء، وهذا معنى ما جاء في الحديث أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا قال له أبو بكرٍ رضي الله عنه: هؤلاء قومك يطلبونك، أما والله ما على نفسي أبكي ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره، لو أن أحدهم نظر إلى قدمه لأبصرنا تحت قدميه، قال ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا**»[2]. فالمعية إذا استعملت في

---

(1) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، (١٤١٧/٣)، رقم الحديث ٣٦٩٢.

(2) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ

حقِّ الله لا تكون معيةً بالمكان والحسِّ إذ الله منزَّهٌ عن ذلك، إنما تكون معية حفظٍ أو علمٍ، قال المفسر فخر الدين الرازي في «التفسير الكبير»[1]: «المسألة الثانية: قال المتكلمون هذه المعية إما بالعلم وإما بالحفظ، وعلى التقديرين فقد انعقد الإجماع على أنه سبحانه ليس معنا بالمكان والجهة والحيز، فإذًا قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴿٤﴾﴾ [سورة الحديد] لا بد فيه من التأويل. وإذا جوَّزنا التأويل في موضع وجب تجويزه في سائر المواضع».

وقال رحمه الله في تفسير المعية في قوله تعالى ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴿٤٠﴾﴾ ما نصه[2]: «ولا شكَّ أن المراد من هذه المعية المعية بالحفظ والنصرة والحراسة والمعونة».

وأمر الله تبارك وتعالى شجرةً فنبتت في وجه الغار، وأمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار، وأمر حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار، فأقبل فتيان قريش من كل بطنٍ بعصيِّهِم وهراويهم

الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، (١٠٨/٧)، رقم الحديث ٦٣١٩.

(١) **التفسير الكبير**، الرازي، سورة الحديد، (١٨٧/٢٩).

(٢) **التفسير الكبير**، الرازي، سورة التوبة، (٥٣/١٦).

وسيوفِهم يبحثون عن رسول الله ﷺ حتى إذا كانوا من النبي ﷺ قدرَ أربعين ذراعًا فعجَّلَ بعضهم ينظر في الغار وتقدم رجلٌ منهم فنظر فرأى الحمامتين فرجع فقال لأصحابه: ليس في الغار شيء، رأيتُ حمامتين على فم الغار فعرفتُ أن ليس فيه أحد، فسمع النبي ﷺ قوله فعلم أن الله تبارك وتعالى قد درأ بهما عنه[1].

ولله درُّ البوصيري رحمه الله حيث قال:

وَيْحَ قَوْمٍ جَفَوْا نَبِيًّا بِأَرْضٍ ... أَلِفَتْهُ ضِبَابُهَا وَالظِّبَاءُ

وَسَلَوْهُ وَحَنَّ جِذْعٌ إِلَيْه ... وَقَلَوْهُ وَوَدَّهُ الغُرَبَاءُ

أَخْرَجُوهُ مِنْهَا وَءاوَاهُ غَارٌ ... وَحَمَتْهُ حَمَامَةٌ وَرْقَاءُ

وَكَفَتْهُ بِنَسْجِهَا عَنْكَبُوتٌ ... مَا كَفَتْهُ الحَمَامَةُ الحَصْدَاءُ

وحيث قال:

---

(1) **مجمع الزوائد**، الهيثمي، (٤٤٥/٧).

فَالصِّدْقُ[1] فِي الَغارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا وَهُمْ يَقُولُونَ[2] مَا بِالغَارِ مِنْ أَرِمِ
ظَنُّوا الحَمَامَ وَظَنُّوا العَنْكَبُوتَ عَلَى خَيْرِ البَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحُمِ
وِقَايَةُ اللهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الأُطُمِ

خُرُوجُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ مِنَ الغَارِ

ولَمَّا مضت ثلاثُ ليالٍ وسكن عن رسول الله ﷺ وأبي بكرٍ الناسُ أتاهما صاحبهما الذي استأجراه فركبا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الدِّيلِيّ. وأردف أبو بكر عامرَ بن فهيرة مولاه ليخدمهما في الطريق وأخذ بهما الدليل طريق الساحل أسفل من عُسْفَانَ ثم أجاز بهما حتى عادا من الطريق على أَمَجَ.

قال الزين العراقي[3]:

---

(1) أي ذو الصدق وهو الرسول ﷺ.

(2) أي المشركون.

(3) **العجالة السنية**، المناوي، (ص٨٧).

وإذْ فَشَـــا الإســـلامُ بالمَـــدينةْ هَـاجـــرَ مَنْ يحـفظُ فيـــها دِينَهْ
وعَزمَ الـصـديـقُ أن يُـهـاجِـرا فَـرَدَّهُ الـــنـبيُّ حتَّى هَـــاجَـــرا
مَـعًـا إلـيـها فـتَرافَـقـــا إلـــى غَـــارٍ بـثـورٍ بعـدُ ثمَّ ارْتَحَـــلا
وَمَـعْـهُـمَا عـامرُ مولَى الصّدّيقْ وابنُ أرَيْقِطٍ دَليلٌ للـــطـــريقْ
فأخَـذوا نحو طـريقِ الســـاحِلِ والحـــقُّ للـعدوِ خيرُ شـــاغـلِ

فكان الطريق الذي سلكه رسول الله ﷺ وصاحبُه الصدِّيق غيرَ الَّذي كانت تسلُكُهُ القوافل[1].

قِصَّةُ سُرَاقَةَ بْنِ جُعْشُم

روى الإمام أحمد والشيخان عن أبي بكر رضي الله عنه قال سراقة بن جُعْشُم[2]: جاءنا رُسُلُ كفارِ قريشٍ يجعلون في رسول الله

---

(1) انظر الطريق الذي سَلَكَهُ الرَّسُولُ عليه الصلاة والسلام من مكةَ إلى المدينة المنورة على الغلاف الخلفي للكتاب.

(2) بضم الجيم، وسكون العين المهملة، وضم الشين المعجمة. **جامع الأصول**، الجزري، (٤٣٥/١٢).

ﷺ وأبي بكرٍ ديةَ كلِّ واحدٍ منهما مائةَ ناقة من الإبل لمن قتله أو أسره.

فبينا أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مُدْلِجٍ[1] أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوسٌ فقال: يا سراقة إني قد رأيت ءانفًا أَسْوِدَةً[2] بالساحل[3] أراها محمدًا وأصحابه.

قال سراقة: فعرفتُ أنهم هم، فأومأت إليه بعيني أن اسكُتْ، فسَكَتَ، ثم قلت له: إنهم ليسوا بهم ولكنَّك رأيتَ فلانًا وفلانًا انطلقوا يبتغون ضالةً لهم.

ثم لبثتُ في المجلس ثم قمتُ فدخلتُ بيتي فأمرتُ جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة[4] فتحبسَها علي، وأخذت

---

(1) بضم الميم، وسكون الدال المهمَلة، وكسر اللام، وبالجيم. **جامع الأصول**، الجزري، (٤٣٥/١٢).

(2) أي أشخاصًا.

(3) وفي رواية: ركبة ثلاثة.

(4) أي رابية مرتفعة عن الأرض.

رُمحي فخرجتُ به من ظهر[1] البيت فحططت[2] بِزُجِّهِ[3] الأرضَ وخفضت عاليَهُ حتى أتيت فرسي فركبتها.

فخرج سراقةُ خُفيَةً من قومه يريد برسول الله ﷺ فَتكًا أي قتلًا ليحصل له ما جعلت قريش لمن ردَّه أو قتله، وهو ـ أي سراقة ـ غيرُ فاتكٍ به ﷺ لأنَّ الله تعالى حماه وعصمه.

فحثَّ سراقةُ في الطلبِ حتى أدركهما.

يقول سراقة: فرفعتها ـ أي فرسه ـ تقرب بي حتى رأيتُ أَسْوِدَتَهُما، فلما دنوتُ منهم عثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت بيدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام[4] فاستقسمت بها أَضَرُّهُمْ، أم لا أضرُّهُم، فخرج الذي أكره: أني لا أضرهم، وكنت

---

(١) أي من خلف.

(٢) أي نكستُ أسفَلَه. وفي نسخة «فخططت» أي خفضتُ أَعلاه وجررت زَجهُ على الأرض فخططتها به من غير قصد.

(٣) الزج الحديدة التي تكون في أسفل الرمح.

(٤) هي سهام لا ريش لها ولا نصل، مكتوب عليها: «لا»، «نعم». فكانوا في الجاهلية إذا أرادوا أمرًا ضربوا بها فإن خرج «لا» تركوا وإن خرج «نعم» فعلوا.

أرجو أن أرده فآخذ المائة ناقة، فركبت فرسي وعصيت الأزلام فرفعتها[1] تقرب بي[2] حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تُخْرِجُ يديها، فلما استوت قائمةً إذا لِأَثر يديها عُثَانٌ[3] ساطع[4] في السماء مثل الدخان فاستقسمتُ[5] بالأزلام فخرج الذي أكره ـ ألا أضرَّهم ـ قال: فعرفت حين رأيتُ ذلك أنه قد مُنع مني وأنه ظاهر، فناديتهم بالأمان وقلت: انظروني فوالله لا ءاذيتكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه.

---

(١) أي أسرعتُ بها السير.

(٢) من التقريب وهو نوعٌ من السَّير دون العدو وفوق العادة، وقيل هو أن ترفع يديها معًا وتضعهما معًا.

(٣) وهو الدخان من غير نارٍ.

(٤) أي منتشر.

(٥) من الاستقسام وهو طلب معرفة ما قسم.

قال سراقة: فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**قُلْ لَهُ وَمَا تَبْتَغِي مِنَّا؟**»، فقلت له إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضِوا عليهم الزاد والمتاع فلم يَرْزَءَاني[1] ولم يسألاني إلا أن قال: «**أَخْفِ عنا**». فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم[2] ثم مضى رسول الله ﷺ[3].

قال سراقة: فخرجتُ وأنا أحبُّ الناسِ في تحصيلهما، ورجعتُ وأنا أحبهم في أن لا يعلم بهما أحد. وفي ذلك يقول مخاطبًا أبا جهلٍ:

أَبَا حَكَمٍ واللهِ لَوْ كُنْتَ شَاهِدًا ... لِأَمْرِ جَوَادِي إِذْ تَسِيخُ قَوَائِمُهْ

عَلِمْتَ وَلَمْ تَشْكُكْ بِأَنّ مُحَمّدًا ... رَسُولٌ بِبرْهَانٍ فَمَنْ ذَا يُقَاوِمُهْ

---

(١) أي لم يأخذا مني شيئًا ولم ينقصا مالي.

(٢) ووافاه به يوم الفتح فرحَّب به وأمَّنه. والأديم هو الجلد المدبوغ.

(٣) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، (١٤٢٠/٣)، رقم الحديث ٣٦٩٣.

عَلَيْكَ بِكَفِّ القَوْمِ عَنْهُ فإِنّنِي أَرَى أَمْرَهُ يَوْمًا سَتَبْدُو مَعَالِمُهْ
بِأَمرٍ يَوَدُّ النّاسُ فِيهِ بِأَسْرِهِمْ بِأَنّ جِميعَ النّاسِ طُرًّا تُسَالِمُه

ووقع لسراقة هذا عَلَمٌ من أعلام النبوة، إذ لمَّا همَّ سراقةُ بِالانصراف قال له النبي ﷺ: «**كَيْفَ بِكَ يَا سُرَاقَةُ إِذَا لَبِسْتَ سُوَارَيْ كِسْرَى**»، قَالَ سُرَاقَةُ: كسرى بنُ هرمزَ صاحبُ القصر الأبيض في المدائن؟ قال عليه السلام: «**كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ**».

ودارت الأيام فإذا بمحمد ﷺ الذي خرج من مكة بجنح الظلام عاد إليها فاتحًا تَحُفُّه الألوف المؤلفة من بيض السيوف، وسمر الرماح، ويأتي سراقةُ النبيَّ ﷺ ويعلن إسلامه بين يديه، ويتراءى له ذلك اليوم الذي همَّ فيه بقتل محمد ﷺ من أجل مائة من النوق، وبعد أن أسلم أصبحت نوق الدنيا لا تساوي عنده قلامةً من ظفر النبي ﷺ.

ودارت الأيام دورتَها كَرَّةً ثانية وءالَ أمر المسلمين إلى الفاروق عمر رضوان الله تعالى عليه. وذات يوم من ءاخر أيام خلافته قَدِم على المدينة رُسُلُ سعد بن أبي وقاص، يبشرون عمر بالفتح، ويحملون إلى بيت مال المسلمين الغنائم، وكان من بين هذه الغنائم تاجُ كسرى المرصعُ بالدر، وثيابه المنسوجة بخيوط الذهب،

ووشاحه المنظوم بالجوهر، وسواراه، وما لا حصر له من النفائس، نظر عمر إلى هذا كله في دهشة، وجعل يقلبها بقضيب كان بيده زهدًا بها، ثم قال: إن قومًا أدَّوْا هذا لأمناء، وكان في حضرته سيدنا علي كرم الله وجهه، قال: يا أمير المؤمنين أَعَجِبْتَ من أمانتهم؟! لقد عففْتَ فعفوا، ولو رَتَعْتَ لرتعوا، وهنا دعا الفاروقُ عمرُ سراقةَ بنَ مالكٍ فألبسه قميص كسرى، ووضع على رأسه تاجَه، وألبسه سواريه. صدق رسول الله ﷺ[1].

---

(1) روى البيهقي عن الحسن أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتي بفروة كسرى فوضعت بين يديه وفي القوم سراقة بن مالك بن جعشم، فألقى إليه سواري كسرى بن هرمز فجعلهما في يديه، فبلغا منكبيه. فلما رءاهما في يدي سراقة قال: الحمد لله، سواري كسرى بن هرمز في يد سراقة بن مالك بن جعشم أعرابي من بني مُدْلِج، وذكر الحديث. قال الشافعي رحمه الله: وإنما ألبسهما سراقة لأن النبي قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه: «**كَأَنِّي بِكَ قَدْ لَبِسْتَ سِوَارَيْ كِسْرَى**». **دلائل النبوة**، البيهقي، (١١٨/٦).

قِصَّةُ أُمِّ مَعْبَدٍ الخُزَاعِيَّةِ

يقول الزين العراقي[1]:

مَـرُّوا عَـلَى خَـيْمَةِ أُمِّ مَـعْـبَـدِ وَهْـيَ عَـلَى طَـرِيـقِـهِمْ بِمَرْصَدِ

وَعِـنْـدَهَا شَـاةٌ أَضَـرَّ الجَـهْدُ بِـهَا وَمَا بِـهَـا قـوًى تَشْـتَـدُّ

فَمَسَـحَ النَّبِيُّ مِنْهَا الضَّـرْعَـا فَحَلَبَتْ مَا قَـدْ كَـفَـاهُمْ وُسْعَا

وَحَلَبَـتْ بَعْدُ إِنَـاءً ءَاخَـرَا تَـرَكَ ذَاكَ عِنْـدَهَا وَسَـافَـرَا

مرَّ الرسول ﷺ وصاحبُهُ أبو بكرٍ الصِّديقُ في طريقهم إلى المدينة المنورة على خيمة أمِّ معبدٍ، واسمها عاتكة بنت خالد الخُزاعية[2]، ونظر النبيُّ ﷺ عندها شاة، فقال: «**مَا هَذِهِ؟**»، قالت: شاةٌ أضرَّ الجَهْدُ بها وما بها من قوى تشتد بها حتى تلحق بالغنم ترعى معهم. فقال ﷺ: «**هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ؟**». قالت: هي أجهد[3] من

---

(1) **العجالة السنية**، المناوي، (ص٩٠).

(2) بضم الخاء المعجمة.

(3) من الجهد، بالفتح ويُضمّ، وهو الطاقة. وقيل: بالفتح المشقة وبالضم الطاقة،

ذلك. فمسح النبيُّ ﷺ على ظهرها وضرعها وسمَّى ودعا، فحلب منها ما قد كفاهم وُسعًا أي ما تحتمله طاقتهم من الريّ.

وحلب النبي ﷺ بعد ذلك إناءً ءاخرَ ثانيًا، وترك ذاك الإناء عندها مملوءًا، وسافر ﷺ بعد أن بايعها على الإسلام واستمرت تلك البركة فيها.

تقول أم معبد: بقِيَتِ الشاةُ التي لمس رسول الله ﷺ ضرعَهَا عندنا حتى كان زمان الرمادة وهي سنةُ ثماني عشرة من الهجرة زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكنا نحلبها صبوحًا وغبوقًا، وما في الأرض قليل ولا كثير.

فقل ما لَبثتْ أَن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا حيالًا عجافًا يتساوكن هزالًا مخهن قليل. فلما رأى اللبن عَجِبَ فقال: من أين لك هذا اللبن يا أمَّ معبد والشاة عازب ولا حلوب في البيت؟

قالت: لا والله إلا أنه مَرَّ بنا رجلٌ مباركٌ من حاله كذا وكذا.

قال: صفيه لي يا أمَّ معبد.

والمراد هنا الهزال.

قالت: رأيتُ رجلًا ظاهَر الوَضَاءَةِ[١] أَبْلَجَ الوَجْهِ[٢] حَسَنَ الخُلُقِ، لم تَعِبْهُ ثُجْلَةٌ[٣] ولم تُزْرِ به صَعْلَةٌ[٤]، وَسيمٌ[٥] قَسِيمٌ[٦]، في عينيْهِ دَعَجٌ[٧]، وفي أَشفارِهِ وَطَفٌ[٨]، وفي صوتِهِ صَحَلٌ[٩]، وفي عُنُقِهِ

---

(١) أي ظاهر الجمال.

(٢) أي مُشرِق الوجه مضيئُهُ.

(٣) الثُّجلة عِظَمُ البطن مع استرخاء أسفله.

(٤) أي صِغَرُ الرأس.

(٥) المشهور بالحسن كأنه صار الحسن له سِمَةٌ.

(٦) أي الحسن قسمة الوجه، أي كل موضع منه أخذ قسمًا من الجمال.

(٧) أي اشتدَّ سوادها وبياضها واتسعت.

(٨) أي طولٌ.

(٩) أي شبه البحَّة.

سَطَعٌ[1]، وفي لِحيَتِهِ كَثَاثَةٌ، أَحْوَرُ[2] أَكْحَلُ[3]، أَزَجُّ أَقْرَنُ[4] شديدُ سواد الشَّعر، إِذَا صَمَتَ عَلَاهُ الوقارُ[5]، وإن تَكَلَّمَ علاه البَهَاءُ[6]،

---

(1) أي طول العنق.

(2) أي شديد بياض بياض عينيه وشديد سواد سوادهما.

(3) أي ذو كُحلٍ، اسودَّت أجفانه خلقةً.

(4) أي مقرون الحاجبين. قال البيهقي: وجاء في وصف حواجبه ﷺ: «سَوَابِغَ فِي غَيْرِ قَرَنٍ». وَالْقَرَنُ أن يطول الحاجبان حتى يلتقي طرفاهما. وهذا خلاف ما وصفته به أم معبد، لأنها قالت في وصفه: «أَزَجُّ أَقْرَنُ» ولا أراه إلا كما ذكر ابن أبي هالة. وقال الأصمعي: كانت العرب تكره الْقَرَنَ، وتستحب الْبَلَجَ. وَالْبَلَجُ أن ينقطع الحاجبان فيكون ما بينهما نَقِيًّا. **دلائل النبوة**، البيهقي، (٢٩٣/١). قال ابن الأثير: كذا في حديث أم معبد، والصحيح في صفته: أنه لم يكن أقرن. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير الجزري (٥٤/٤). وقال الصالحي في **سبل الهدى والرشاد** (٢١/٢): ويمكن الجمع بأنه ﷺ كان أولا بغير قرن أو من جهة الرائي من قرب ومن بعد، وبأنه كان بين الحاجبين فرجة يسيرة لا تتبين إلا لمن دقق النظر إليها.

(5) أي الرزانة والحلم.

(6) من الحسن، أي الجلال والعظمة.

أجملُ الناس وأبهاهُ من بعيدٍ وأحسنُهُ وأحلاه من قَريبٍ، حُلْوُ المنطق، فصل لا نَزْرٌ ولا هَذْرٌ[1]، كَأنَّ منطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ يَنحدِرْنَ[2]، رَبعَةٌ لا تَقتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ[3] ولَا تَشْنَؤُهُ مِن طُولٍ[4]، غُصْنٌ بينَ غُصنين، فهو أَنْضَرُ الثَّلاثةِ مَنْظَرًا، وأحسنُهُم قَدًّا[5]، له رُفَقَاءُ يَحُفُّونَ بِه، إذا قالَ استمعوا لقولِهِ وإذا أَمَرَ تبادروا إلى أمره، مَحْفُودٌ[6] مَحْشُودٌ[7]، لا عَابِسٌ ولا مُفْنِد[8].

فقال أبو معبد: هذا واللهِ صاحبُ قريشٍ الذي ذُكِر لنا من

---

(١) أي لا قليلٌ ولا كثيرٌ، أي ليس بقليلٍ فيدل على عِيٍّ، ولا كثير فاسد.

(٢) أي كلامه محكم بليغ.

(٣) أي لا تزدريه لقصره فتجاوزه إلى غيره بل تهابه وتقبله.

(٤) أي لا يُبغَض لفرط طوله.

(٥) أي قامةً.

(٦) أي مخدوم.

(٧) أي يحتمع الناس حوله.

(٨) المفند هو المنسوب إلى الجهل وقلة العقل.

أمره بمكة ما ذُكر، ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدتُ إلى ذلك سبيلًا.

تَلَقِّي أَهْلِ الـمَدِينَةِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَنُزُولُهُ بِقُبَاءَ وَتَأْسِيسُ مَسْجِدِ قُبَاءَ

لَمَّا سمع الأنصار بخروج النبي ﷺ من مكة المكرمة قاصدًا المدينةَ، كانوا يخرجون كل يومٍ في الصباح إلى الحرة ينتظرون وصول رسول الله ﷺ حتى إذا انتصف النهار، وأصبح لا ظلَّ للأشياء رجعوا إلى بيوتهم من شدة الحر. وظلوا على ذلك أيامًا.

وفي يوم الاثنين الثامنِ من شهر ربيعٍ الأول سنة أربع عشرة من البعثة، وهي السنة الأولى من الهجرة، وصل الركب المبارك إلى قباء، فاستقبلهم الناس بفرحة غامرة، وكان يومًا مشهودًا لم تشهد المدينة مثله في تاريخها.

روى البخاري[1] أنَّ رسولَ الله ﷺ لقيَ الزبيرَ في ركبٍ من

([1]) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، (١٤٢١/٣)، رقم الحديث ٣٦٩٤.

المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشأم فكسا الزبيرُ رسول الله ﷺ وأبا بكر ثيابَ بياضٍ، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداةٍ إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعد ما أطالوا انتظارهم فلما أَوَوْا إلى بيوتهم، أوفى رجل من يهودَ على أُطُمٍ[1] من ءاطامهم لأمر ينظر إليه فَبَصُرَ برسول الله ﷺ وأصحابه مبيَّضِين[2] يزول بهم السراب[3] فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب هذا جدُّكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسولَ الله بظَهْرِ الحَرَّةِ فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يومَ الاثنين من شهر ربيعٍ الأول[4]، فقام أبو

---

(١) أي حصن وقيل بناء من حجر كالقصر.

(٢) أي عليهم ثيابٌ بيضٌ.

(٣) هو ما يرى في شدة الحر من بعد كأنه ماء، والمعنى يزول السراب عن النظر بسبب عروضهم له أو يظهرون فيه تارةً ويخفون أخرى.

(٤) وهذا هو المعتمد، إذ القدوم كانءاخرَ الليل والدخول نهارًا. **فتح الباري**، ابن حجر، (٢١/٣٧٧، ٣٧٨).

بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتًا فطفق من جاء من الأنصار ـ ممن لم يَرَ رسول الله ﷺ ـ يُحَيِّي أبا بكرٍ[1] حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلَّلَ عليه بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك.

ونزل رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهدم وكان يخرج للناس من منزله فيجلس للناس في بيت سعد بن خيثمة لأنه كان عزبًا لا أهل له هناك، وكان منزلَ العُزَّابِ من أصحابِ رسول الله ﷺ من المهاجرين فمن هنالك يقال: نزل على سعد بن خيثمة.

ونزل أبو بكرٍ على خُبيبِ بن إسافٍ أحد بني الحارث بالسُّنْح. ويقال: على خارجة بن زيد بن أبي زهير أخي بني الحارث ابن الخزرج.

---

(١) أي يُسَلِّمُ عليه. قال ابن التين: إنما كانوا يفعلون ذلك بأبي بكرٍ لكثرة تردده إليهم في التجارة إلى الشام فكانوا يعرفونه، وأما النبي ﷺ فلم يأتها بعد أن كبر. قال الحافظ ابن حجرٍ العسقلاني: ظاهر السياق يقتضي أن الذي يُحَيِّي ممن لا يعرف النبي ﷺ يظنه أبا بكر فلذلك يبدأ بالسلام عليه، ويدل عليه قوله في بقية الحديث فأقبل أبو بكر يُظَلِّلُ عليه بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ. **فتح الباري**، ابن حجر، (٣٧٨/٢١).

وأقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة بعد مخرج رسول الله ﷺ أيامًا ـ قال بعضهم: ثلاثة أيامٍ ـ حتى أدَّى للناس ودائعهم التي كانت عند رسول الله ﷺ وَخَلَّفَهُ ليردها، ثم خرج فلحق برسول الله ﷺ بقباء فنزل على كلثوم بن الهدم.

وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم فقدما عليه بفاطمةَ وأمِّ كلثوم ابنتيه وسودةَ بنتِ زمعة زوجته، وحمل زيدُ بن حارثة امرأتَه أمَّ أيمنَ مع ابنها أسامةَ بن زيد، وخرج عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر فيهم عائشةُ وأختُها أسماءُ زوجُ الزبير وأم رُومَانَ ـ وهي أم عائشةَ ـ فلما قدموا المدينة أُنزلوا في بيت حارثة بن النعمان. وذكر رُزينٌ أن أبا بكر أرسل عبد الله بنَ أُرَيقِطٍ مع زيد ليأتيه بأهله.

ولبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة[1] وأسسَ المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى وهو مسجدُ قباء،

---

(1) وهذا ما ذكره البخاري، وقد ذكر ابن إسحاق أنه ﷺ مكث أربعة أيام من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة، فيكون بذلك ـ أي قول ابن إسحاق ـ مكث رسول الله ﷺ في قباء من ثامن ربيعٍ الأول حتى الثاني عشر من الشهر.

وصلَّى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة[1].

روى الطبراني[2] عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: لما سأل أهل قباء النبي ﷺ أن يبنيَ لهم مسجدًا قال رسول الله ﷺ: «**لِيَقُمْ بَعْضُكُمْ فَيَرْكَبِ النَّاقَةَ**»، فقام أبو بكر رضي الله عنه فركبها فحركها فلم تنبعث فرجع فقعد فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**لِيَقُمْ بَعْضُكُمْ فَيَرْكَبِ النَّاقَةَ**»، فقام علي رضي الله عنه، فلما وضع رجله في غرز الركاب وثبت به فقال رسول الله ﷺ: «**يَا عليُّ أَرْخِ زِمَامَهَا وَابْنُوا عَلَى مَدَارِهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَة**».

---

(1) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، (١٤٢١/٣)، رقم الحديث ٣٦٩٤.

(2) **المعجم الكبير**، الطبراني، باب الجيم، جابر بن سمرة السوائي يكنى أبا خالد ويقال أبو عبد الله نسبته، (٢٤٦/٢)، رقم الحديث ٢٠٣٣.

وروى الطبراني[1] بسند رجاله ثقات عن الشَّموس[2] بنت النعمان رضي الله عنها قالت: نظرتُ إلى رسول الله ﷺ حين قدم ونزل وأسس هذا المسجدَ: مسجدَ قباء، فرأيته يأخذُ الحَجَرَ أو الصخرةَ حتى يَهْصِرَهُ الحجر[3]، وأنظرُ إلى بياض التراب على بطنه أو سرته فيأتي الرجل من أصحابه ويقول: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أعطِنِي أَكْفِكَ، فيقول: «**لَا، خُذْ مِثْلَهُ**»، حتى أسسه.

وقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ في فضل مسجد قباء منها ما أخرجه مسلم في صحيحه[4] أن ابن عمر كان يأتي قباء كلَّ سبت وكان يقول: رأيتُ النبي ﷺ يأتيه كل سبتٍ.

---

(1) **المعجم الكبير**، الطبراني، مسند النساء، باب الشين، شموس بنت النعمان ابن عامر بن مجمع الأنصارية، (٣١٨/٢٤)، رقم الحديث ٨٠٢.

(2) بفتح الشين المعجمة.

(3) أي يميله.

(4) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الحج، باب فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه وزيارته، (١٢٧/٤)، رقم الحديث ٣٤٦١.

وأخرج الترمذي وصححه[1] من حديث أسيد بن ظهير عن النبيّ ﷺ قال: «**الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِ قُبَاء كَعُمْرَة**».

وما رواه النسائي في سننه[2] من حديث سهل بن حنيف قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ مَسْجِدَ قُبَاءَ فَصَلَّى فِيهِ كَانَ لَهُ عَدْلَ عُمْرَةٍ**».

دُخُولُ الـمَدِينَةِ والنُّزُولُ بِدَارِ أَبِي أَيُّوبِ الأَنْصَارِيّ

لما ارتحَلَ المصطفى قاصدًا المدينةَ أتاه عتبان بن مالك في رجال من بني سالم فأخذوا خطام ناقته فقالوا: أَقِم عندنا في العدد والعدة والمنعة، فقال ﷺ: «**خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ**»، فخلَّوها حتى إذا مرَّت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عبادة في رجالٍ كالأول وأعاد مثله، حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج

---

(1) **سنن الترمذي**، الترمذي، أبواب الصلاة، الصلاة في مسجد قباء، (٢/١٤٥)، رقم الحديث ٣٢٤.

(2) **السنن الكبرى**، النسائي، كتاب المساجد، فضل مسجد قباء والصلاة فيه، (١/٢٥٨)، رقم الحديث ٧٧٨.

اعترضه سعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة في رجالٍ فقالوا مثله وأعاد مثله، حتى إذا مرَّت بدار عديِّ بن النجار ـ وهم أخواله ـ اعترض سَليط بن قيس في رجال فقالوا: هلمَّ إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة فقال ﷺ: «**خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ**»، حتى دانت دارَ بني مالك بن النجار بركت ناقته ﷺ المأمورةُ أي التي أمرها الله تعالى أن تبركَ بموضع المسجد أي مسجده عليه السلام، وهو يومئذٍ مِرْبَدٌ لغلامين يتيمين من بني مالك بن النجار في حِجر معاذ بن عفراء. فلما بركت وهو عليها لم ينزل وَثَبَتْ فسارت غيرَ بعيد والمصطفى ﷺ واضعٌ لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبرَكها الأول فبركت به ثم تحلحلت ووضعت جرانها فنزل عنها وذلك في وقت الظهيرة. فاحتمل أبو أيوبَ[1] خالدُ بن زيد من بني النجار رحله وأدخل ناقته داره.

---

(١) روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ**». فقال أبو أيوبٍ: أنا يا نبي الله، هذه داري، وهذا بابي. قال ﷺ: «**فَانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لَنَا مَقِيلًا**». **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، (١٤٢٣/٣)، رقم الحديث ٣٦٩٩.

وخرجت جوارٍ من بني النجار يضربن بالدفوفِ ويقلن:

نَحْنُ جَـوَارٍ مِنْ بَنِي النَّـجَّـارِ يَـا حَـبَّـذَا مُحَـمَّـدٌ مِـنْ جَـارِ

قال زيد بن ثابت: وأول هديةٍ دخلتُ بها أنا قصعةٌ مثرودٌ فيها خبزٌ وسمنٌ ولبنٌ، فقلت: أرسَلَتْ بها أمي فقال: «**بَارَكَ اللهُ فِيكَ**» ودعا صحبه فأكلوا، فلم أَرُمْ البابَ حتى جاءت قصعة سعدِ ابنِ عبادةَ بثريدٍ وعراقِ لحمٍ. وما كان من ليلة إلا وعلى باب المصطفى الثلاثة والأربعة يحملون طعامًا كثيرًا. ثم صار سعدُ بن عبادة يرسل إليه كل يومٍ قصعةً، فأقام بدار أبي أيوب حتى ابتنى مسجده الرَّحِيب أي الواسع بعد شرائه أرضَه من قسيمِ مالكيه، وذلك أن المصطفى سأل عن المِربد لمن هو فقال معاذ بن عفراء: لسهل وسهيل ابني عمرو يتيمان لي وأُرضيهما فيه، وقال الدمياطي: إن المصطفى ساومهما فيه ليتخذه مسجدًا، فقالا: هبةً لك، فأبى حتى ابتاعه بعشرة دنانير، وأمر أبا بكرٍ أن يعطيَهُما إياها، ثم أمر بالنخل الذي فيه والغرقَدِ فقطع، وباللبن فضرب، وكان فيه قبورٌ جاهلية فنبشت وغُيِّبَت العظام وسويت الحفر، وأسس المسجد، وجُعل طولُه مما يلي القبلة إلى مؤخَّرِهِ مائةَ ذراعٍ وفي ذينك الجانبين مثلُ ذلك فهو مُرَبَّع،

وقيل كان أقلَّ من مائةٍ، وجُعِلَ الأساسُ نحوَ ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة، ثم بنوه باللبن، وجعل رسول الله ﷺ ينقل معهم الحجارة ويقول: «**اللّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالـمُهَاجِرَةِ**». وقال قائل:

لَئِـــنْ قَـــعَـدْنَا وَالنَّبِيُّ يَـعْـمَـلُ لَـذَاكَ مِـــنَّـــا عَمَلٌ مُضَلَّلُ

وجعل ﷺ قبلته لبيتِ المقدس، وجعل له ثلاثةَ أبوابٍ، بابًا في مؤخره وبابًا يقال له: «باب الرحمة» وهو الذي يسمى «باب عاتكة»، والباب الثالث الذي يدخل منه المصطفى وهو الذي يلي ءال عثمان، وجعل عُمُدَهُ الجذوع وسقفه الجريد، وبنى بيوته بجنبه باللبِن.

ومن الفوائد الحسنة ما ذكره مُغَلْطَايُ أن موضع المسجد كان ابتاعه تُبَّعٌ للمصطفى قبل مبعثه بألف سنة وأنه لم يزل على ملكه من ذلك العهد.

ثم إنه ﷺ بنى حوله منازلَ أي مساكنَ لأهله أي نسائه ومواليه ومن يليه.

وبعث زيدَ بن حارثة وأبا رافع إلى مكة فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه وسودةَ زوجتِهِ وأسامةَ بنِ زيد وحاضنتِه أم أيمن،

وجلس أبو العاص بنُ الربيع مع بنته زينبَ، وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيالِ أبي بكر وفيهم عائشة فقدموا المدينة فأنزلهم في بيت حارثة بن النعمان، كل ذلك وهو في بيت أبي أيوب.

وكان أصحابه ﷺ من المهاجرين والأنصار يبنون مساكنهم حواليه في ظله أي في كنفه، وإن من الأنصار من ترك مسكنه البعيد وسكن بقربه.

أما بالنسبة للمدة التى مكثها النبي ﷺ في دار أبي أيوب: فقد ذهب ابن سعد[1] إلى أن مدة إقامته ﷺ في دار أبي أيوب كانت سبعةَ أشهر، وأقره الحافظ ابن حجر[2] سكوتًا عنه. وأخرج الحاكم[3]

---

(١) **الطبقات الكبرى**، ابن سعد، ذكر خروج رسول الله ﷺ، وأبي بكر إلى المدينة للهجرة، (٢٣٧/١).

(٢) **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، (٣٨١/٢١).

(٣) روى الحاكم في المستدرك عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال: يا رسول الله مكثتَ عندي شهرًا، ووددت أنك مكثتَ أكثر من ذلك. **المستدرك**، الحاكم، كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ذكر مناقب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، (٥٢١/٣)، رقم الحديث ٥٩٤٠.

عن أبي أيوب أن رسول الله ﷺ أقام عنده شهرًا واحدًا.

المؤَاخَاةُ بينَ المُهَاجِرِينَ والأنصَار

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢﴾ [سورة الأنفال].

بعد وصول الرسول العظيم مع صاحبه الصديق أبي بكر إلى المدينة المنورة وخروج المؤمنين من أهلها مرحبين بقدوم النبي الكريم وصاحبه الوفي واستبشارهم بقدومهما وقدوم الأصحاب كل خير، ضرب هؤلاء مع إخولنهم المهاجرين أروع الأمثلة في التضحية والأخوة والتحاب والتباذل في الله.

لقد جمعهم الإسلام ووحدتهم العقيدة وءالف النبي بين قلوبهم حتى صاروا على قلب رجل واحد لا يفرق بينهم طمع ولا دنيا ولا يباعد بينهم حسد ولا ضغينة، مثلهم كمثل البنيان

المرصوص يشد بعضه بعضًا، ومثلهم في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

لقد كان من المهاجرين من ترك الدار والمال والأهل والولد والمتاع ابتغاء مرضاة الله فماذا قدّم الأنصار؟ لقد استقبل الأنصار إخوانهم المهاجرين ومدوا لهم يد المساعدة والعون حتى كان الأنصاري يقسم ماله ومتاعه بينه وبين أخيه المهاجر.

قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحشر].

وعن أنس[1] رضي الله عنه أنه قال: قدم علينا عبد الرحمن ابن عوف وءاخى رسول الله بينه وبين سعد بن الربيع وكان كثير

---

(1) **صحيح البخاري**، البخاري، (٣١/٥)، رقم الحديث ٣٧٨١.

المال فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالًا، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأُطلِّقُها حتى إذا حَلَّت تزوجتها، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك، فلم يرجع يومئذ حتى أفضل شيئًا من سمن وأقِط فلم يلبث إلا يسيرًا حتى جاء رسول الله ﷺ فقال لرسول الله ﷺ: تزوجت امرأة من الأنصار فقال له: «**أَوْلِم ولَو بِشَاة**».

وقالت الأنصار: اقسم بيننا وبينهم النخل قال: لا، قال: تكفونا المؤنة وتشركونا في التمر، قالوا: سمعنا وأطعنا.

حُبُّ الأنصَارِ مِنَ الإيمَانِ

قال رسول الله ﷺ: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله**». وفي رواية: «**ءاية الإيمان حب الأنصار وءاية النفاق بغض الأنصار**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء فقال رسول الله ﷺ: «**من يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا**» فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته فقال:

أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: عجب الله من فعالكما[1] فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [سورة الحشر].

---

(١) العجب إذا أُضيف إلى الله وكذلك الضحك فمعناه الرضا عن فعالهما بما عملا من طاعةٍ وحسنةٍ، وأما حقيقة الضحك والتعجب فمستحيلٌ على الله، لأنَّ الله تعالى لا يتصف بصفةٍ من صفات خلقِه. ويجب صرْفُ الأخبار المتشابهة عن ظواهرها كما قال ابن بطَّال في شرحه على البخاري. وقال الإمام القطب الغوث سيدنا أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه وأرضاه في الحكم: «صونوا عقائدكم من التشبه بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة، فإنَّ ذلك من أصول الكفر». معناه أنَّ حمل الآيات والأحاديث المتشابهة على ظاهرها يوصل إلى الكفر ويوقع فيه.

مِنْ بَرَكَاتِ وَفَضَائِلِ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

أخرج البيهقي في دلائل النبوة[1] عن أنس، قال: عدنا شابًّا من الأنصار، وعنده أم له عجوز عمياء، قال: فما برحنا أن فاض، يعني: مات، ومددنا على وجهه الثوب، وقلنا لأمه: يا هذه احتسبي مصابك عند الله، قالت: «أمات ابني؟»، قلت: نعم، قالت: «اللَّهُمَّ إن كنت تعلم أني هاجرت إليكَ[2] وإلى نبيِّكَ، رجاء أن تعينني عند كل شديدة، فلا تحمل عليّ هذه المصيبة اليوم». قال أنس: فوالله ما بَرِحَتْ حتى كَشَفَ الثوبَ عن وجهِهِ وطعِمَ وطعِمْنَا معه.

وروى ابن سعد[3] عن عثمان بن القاسم أنه قال: لما هاجرت أم أيمن من مكة إلى المدينة أَمْسَتْ بالمنصرَف ودون الروحاء، فعطشت، وليس معها ماء؛ وهي صائمة، فأجهدها العطش، فَدُلِيَ عليها من السماء دَلْوٌ من ماء برشاءٍ أبيضَ، فأخذته، فشربَتْهُ حتى

---

(١) **دلائل النبوة**، البيهقي، (٣٤٧/٥).

(٢) أي لطاعتك.

(٣) **الطبقات الكبرى**، ابن سعد، (٢٢٤/٨).

رَوِيَتْ. فكانت تقول: ما أصابني بعد ذلك عطش، ولقد تعرضْتُ للعطش بالصوم في الهواجر، فما عطشتُ. وأخرجه ابن السكن من طريق هشام بن حسان عن عثمان بنحوه وقال في روايته: خرجت مهاجرةً من مكة إلى المدينة وهي ماشيةٌ ليس معها زاد. وقال فيه: فلما غابت الشمس إذ أنا بإناءٍ معلَّقٍ عند رأسي، وقالت فيه: ولقد كنت بعد ذلك أصوم في اليوم الحار ثم أطوف في الشمس كي أعطش فما عطشت بعد.

وفي بعض الروايات: فكادت تموتُ من العطش، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة سمعتْ حسًّا على رأسها، فرفعته، فإذا دلوٌ، برشاءٍ أبيضَ معلقٌ، فشربتْ منه حتى رَوِيَتْ، وما عطشت بقية عمرها.

وروى مسلم في الصحيح أَنَّ الطُّفَيْلَ بن عمروٍ الدَّوسِيَّ هاجر إلى

رسول الله ﷺ، وهاجر معه رجلٌ من قومه، فاجتووا المدينة[1]

---

(1) أي كرهوا المقام بها لضجر ونوع من سقم. قال أبو عبيد والجوهريُّ وغيرهما: اجتويتُ البلد إذا كرهت الـمُقام به، وإن كنت في نعمة.

فمرض فجزع فأخذ مَشَاقِصَ[1] له فقطع بها بَرَاجِمَهُ[2] فَشَخَبَتْ يداه[3] حتى مات، فرءاه الطفيل بن عمرو في منامه فرءاه وهيئته حسنة ورءاه مغطِّيًا يديه، فقال له: ما صنعَ بك ربُّكَ؟

فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ.

فقال: ما لي أراك مغطِّيًا يديك؟

قال: قيل لي لن نصلح منك ما أفسدت.

فقصَّها الطفيل على رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ**»[4] [5].

---

(١) جمع مِشْقَص، هو سهم فيه نصلٌ عريضٌ.

(٢) هي مفاصل الأصابع، واحدتها برجمة.

(٣) أي سال دمهما.

(٤) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر، (٧٦/١)، رقم الحديث ٣٢٦.

(٥) في هذا الحديث حجَّةٌ لقاعدةٍ عظيمةٍ لأهل السُّنَّة وهي أنَّ من قتل نفسه أو ارتكب معصية غيرها دون الكفر، ومات من غير توبةٍ فليس بكافرٍ ما لم يستحلَّها، ولا يقطع له بالنَّار بل هو في حكم المشيئة، إن شاء اللهُ غَفَرَ له وعفا عنه، وإن شاء عذَّبه ثم أدخله الجنة.

الباب الخامس

سَردُ أَحدَاثٍ متعاقِبةٍ
حَصَلَت في طَرِيقِ هِجرةِ النَّبِيّ ﷺ
مِن مَكَّة إلى الـمَدِينَةِ

وقعت في أثناء رحلته الشريفة ﷺ أحداث كثيرة أثبتتها الروايات والآثار المرفوعة والموقوفة، وها نحن نورِد منِها باختِصارٍ شيئًا مِمّا أورَدناه مفصَّلًا فيما سبَق:

١. تعيين المشرِكين قائفًا منهم يقتفي أثر الرسول ﷺ:

قامت قريش بمراقبة طريق الخروج من مكّة والتفتيش عن النبيّ فيها تفتيشًا بليغًا، حتى إنّهم عيَّنوا لهذه المهمّة الخبيثة قائفًا عارفًا بآثار المشاة، واختلف في اسمه فقال بعضهم: هو سُراقة ابن مالِك بن جُعْشُمٍ الكناني، وقال غيرهم: هو كرز بن علقمة، ويحتمل أن يكون كُلٌّ منهما اقتفَى أثره ﷺ.

٢. إيواء النبيّ ﷺ وأبي بكرٍ غارَ ثور:

أَوَى النبيّ ﷺ وأبو بكرٍ إلى غارٍ في جَبَل ثَوْرٍ، فخرج المشركون يطلبونهما حتى جاءوا إلى الجبل وأشرَفُوا على الغار، فأعْمَى الله أَعْيُنَهم عن رسول الله ﷺ، فأَيِسُوا وَرَجَعُوا، ومكث رسول الله ﷺ وأبو بكر في الغار ثَلاثَ لَيالٍ يَبِيتُ عِندَهُما عبد الله بن أبي بكر الصديق بالليل ثمّ يَخرج عند السَّحَر إلى مكّة كأنّه

بائتٌ بِها فلا يسمع أمرًا يكاد به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك في مرحلةٍ من المراحل.

٣. تَتَبُّع سُراقةَ بن مالِك أثر الرسول ﷺ:

قام سُراقةُ بن مالِك بتتبُّع أثرِ رسول الله ﷺ ليأتي به إلى قريش طَمَعًا في مائة ناقة منهم جَعَلتها قريش لِمَن يأتي بالنبيّ ﷺ.

وقد عثَر الفرس بِسُراقة فسقط عنه فأبى إلا أن يتبع النبيّ لأنّه قد وجَد أثرًا، ثم رَكِب فعثَر به الفرس مرة ثانية وسقط عنه فأبى إلا أن يتبعه، فركب فرأى رسول الله ومعهُ أبو بكر ورَجُلٌ ثالث، فَعثَر بسُراقة الفرس مرة ثالثة وذهبت يدا الفرسِ نازلةً في الأرض وسقط هو عنه، فعَرَف سُراقة حين رأى ذلك أنّ رسول الله ﷺ في حِمًى وأنّه لن ينالَهُ أحَدٌ منهم.

٤. لقاء النبيّ ﷺ بالزُّبير بن العوّام وطلحةَ بنِ عُبيد الله في الطَّرِيق:

لقي النبيّ ﷺ وأبو بكرٍ في طَرِيقِه إلى المدينة الزبير بن العوام، ابن عَمّة النبيّ صَفِيّة، وكان الزّبير في رَكْب كانُوا تُجّارًا عائِدِينَ مِن الشّام، فكَسَى الزُّبَير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثِيابًا بَيضاءَ. وكذا روى أصحاب السِّيَر أن طلحة بن عبيد الله لَقِيَهُما أيضًا وهو عائد من الشام وكسَاهما بعض الثياب.

٥. مُرُور رسول الله ﷺ بأُمِّ مَعْبَدٍ ونُزُولُه بِخَيْمَتِها:

مَرّ النبيّ ﷺ وأبو بكرٍ على خيمة امرأةٍ تُدعَى أُمَّ معبد عاتِكُة بنت خالِد الخُزاعيّة وهي على طريقهم بفِناء خيمتها تَسْقِي المارَّة من الماء واللبن، فرأى النّبيّ عندها شاةً ليس فيها قُوًى حتى تلحق بالغنم فترعَى معهم وما بِها مِن لَبَن، فمسح النبي ﷺ ظهر الشاة وضَرْعها ودعا، فدرّ ضرع الشاة اللَّبَن الكثير فشَرِب المصطفى وأبو بكر ومُلئ وعاءٌ عند أُمّ مبعد، ثمّ سافر النبيّ مرّة أخرى بعد أن بايعها على الإسلام.

٦. خرُوج بُرَيدة الأسلَميّ لاقتفاء أثر الرَّسُول وخبرُ إسلامِه:

خرَجَ رجلٌ يُدعَى بُرَيدة بن الحُصَيْب الأسلَمِيّ رئيس قومِه في رَكْبٍ مِن سبعين رَجُلًا وهم يُرِيدون أثرَ النبيّ ﷺ لِمَا بَلَغَهم ما جعلته قريش لمن يأخذ النبي ﷺ فطَمِعُوا في ذلك، لكن لَمَّا لَقِيَ بُرَيدة رسول اللَّه ﷺ في موضِع الغميم[١] أسلَم هو وقومُه حين لقُوا النبيَّ واعتذروا بشأن قِلّة اللبن الذي معهم وقالوا: مَواشِينا شُصُصٌ[٢] أي جافّة ثمّ جاءوه بِلَبَنٍ فشَرِبَه هو وأبو بكر، فدعا رسول الله ﷺ لهم بالبركة.

٧. إبطاء الجَمَل الذي كان يركبه النبيّ وأبو بكرٍ مِن التَّعَب:

بعد أن سلَك النبيّ وصاحِبُه أبو بكر مع دليلِهما عبد الله ابن أُرَيقِط الفِجاج الكثيرة ونَزلوا بُطُون الوِديان وصَعِدُوا الهِضاب، فلمّا نَزَلوا وادِي العرج[٣] أَبْطَأ عليهم بَعيرُهم، فلَقِيَ رسول

---

(١) موضع قرب المدينة بين رابِغ والجُحْفة.

(٢) أي جافّة.

(٣) موضع في طريق مكّة إلى المدينة، بينه وبين المدينة تسعة وتسعون فرسخًا،

الله ﷺ رَجُلًا مِن قبيلة أَسْلَمَ يقال له أوْس بن حُجْر، فحَمَل أوس رَسُول ﷺ على جمل يقال له ابن الرَّدَّاء إلى المدينة وبَعَث معه غلامًا يقال له مَسعُود بن هُنَيدة.

٨. إسلام السَّارِقَين مِن قَبِيلة أَسْلَمَ على يَدِ رسول الله ﷺ:

كان رسول الله ﷺ قد أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة عند موضِع ما قريبًا مِنها، فقال له دليلٌ: إنّ هذه الطريق بِها لِصَّان مِن قبيلة أَسْلَمَ يقال لهما الْمُهَانانِ، فإن شِئتَ أخَذْنَا عليهما، فقال النبي ﷺ: «**خُذْ بِنا علَيهِما**»، فجاءوهما فدعاهما رسول الله ﷺ فَعَرَض عليهما الإسلام[1] فأَسْلَما ثم سألهما عن أَسْمائِهِما فقالَا:

سمي العرج لتعريج السيول به أي مرورها. انظر: الروض الْمِعطار للحِمْيَريّ (ص/٤٠٩).

(١) وفي ذلك دليل على أنّه يَجِب المبادرة إلى دعوة الشخص إلى الإسلام إن كان يُرجَى إجابَتُه ولا يجوز تأخيره عن ذلك لغير عُذر، ألا ترَى أنّ النبيّ ﷺ لم يسألْهُما عن اسمَيهِما قبل أن يدعُوَهُما إلى الإسلام لأنّه ﷺ قد رجَا إسلامَهُما بمجرَّد دعائهما، وقد تدعو الحاجة الواحِدَ مِنّا في بعض الحالات أن يُحَدِّث الكافر

نحنُ الْمُهَانان، فقال: «**بل أَنْتُما الْمُكْرَمانِ**» وأمَرَهما أن يَقْدَما عليه المدينةَ.

إلى أن يستميله للإسلام حتى يبلُغ المبلَغ الذي يرجو أنّه يَقبَلُ الدعوة إلى الإسلام.

الباب السادس

فـضَائِلُ المَدِينَةِ المُنَوَّرَة

حين هاجرَ النبيُّ الكريمُ ﷺ إلى المدينة، ووطئت أرضَها الكريمةَ قدمُهُ الشريفةُ أضاءت جوانبها، وعظمت قيمتها، وعلت بين البلادِ مكانتها وأهميتها.

قال أنسُ بن مالك: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينةَ أضاء منها كل شيء[1].

ومنذ ذلك الحين تعلَّقتْ بالمدينة المنورة قلوب المسلمين، وتطلعت إلى تلك الدار المباركة أفئدة وأبصارُ الناس.

وقد زاد تلك البقعةَ الطيبةَ شرفًا وفضيلةً وفاة رسول الله ﷺ فيها، وضمُّ تربتها جسدَه الطاهر المبارك، فضلًا عن مسجده الشريف ﷺ الذي هو أعظم المساجد بعد بيت الله الحرام.

وقد أكَّدت فضيلةَ هذا البلدِ المباركِ جملةٌ كبيرةٌ من الأحاديث النبوية، وزادت من تعلّق القلوب بها، وحنين النفوس إليها.

---

(1) **سنن الترمذي**، الترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، (٥/٥٨٨)، رقم الحديث ٣٦١٨. **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ﷺ، (١/٥٢٢)، رقم الحديث ١٦٣١.

مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ الـمَدِينَةِ الـمُنَوَّرَةِ

للمدينة المنورةِ أسماءٌ كثيرةٌ، وقد ذكر بعضًا منها محمد بن عبد الله الزركشي في كتابه «إعلام الساجد بأحكام المساجد»[1]، ومجد الدين الفيروزءابادي[2]، ونور الدين السَّمهودي في كتابه «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ»[3]، ومحمد بن يوسف الصالحي الشامي في كتابه «سبل الهدى والرشاد»[4].

وأشهر هذه الأسماء:

أ ـ **المدينة**: وهذا أشهر أسمائها، وهذا الاسم إذا أُطلق يُراد به المدينة المنورة دون غيرها من مدن الدنيا، وقد جاءت ءايات

---

(١) **إعلام الساجد بأحكام المساجد**، الزركشي، (ص٢٣٢ ـ ٢٣٦).

(٢) ذكر السخاوي في ترجمة الفيروزءابادي في كتابه **الضوء اللامع** (٧٩/١٠ ـ ٨٦) من مؤلفاته: «المغانم المطابة في معالم طابة»، و«الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف»، فلعلَّ ما ذكره من أسماء المدينة في أحد هذين الكتابين.

(٣) **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى** ﷺ، السمهودي، (٨/١ ـ ٢٧).

(٤) **سبل الهدى والرشاد**، الصالحي، (٤١٤/٣ ـ ٤٢٥).

القرءان الكريم بهذا الاسم في أربع مواضع، وهي قوله تعالى ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة التوبة]، وقوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة التوبة]، وقوله تعالى ﴿۞لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الأحزاب]، وقوله تعالى ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ ﴿٨﴾﴾ [سورة المنافقون].

كما ورد هذا الاسم في أحاديث كثيرة.

وهذا الاسم هو الذي يعرفه العامة والخاصة، والعلماء والعوام، فإذا أطلق هذا الاسم تبادر إلى الفهم أن المراد المدينة النبوية، وإذا أريد غيرها بلفظ «المدينة» فلا بد من قيد.

ب ـ طَابَة أو طَيْبَة: وهذا الاسم مشتقٌّ من الطيِّب، وهو الطاهر، وذلك لحلول الطيِّبِ بها ﷺ. فهي مدينةٌ طابت برسول الله عليه الصلاة والسلام. قال بعض أهل العلم: في طيب تربتها

وهوائها دليلٌ شاهدٌ على صحة هذه التسمية[1].

أما أدلة تسميتها بذلك فكثيرة منها:

ما رواه جابر بن سَمُرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى سَمَّى الـمَدِينَةَ طَابَةَ**»[2].

ما رواه أبو حميد الساعدي رضي الله عنه قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من تبوك حتى أشرفنا على المدينة، قال: «**هَذِهِ طَابَةُ**»[3].

ما روته فاطمة بنت قيس رضي الله عنها في حديث الجساسة والدجال الطويل حيث قالت: قال رسول الله ﷺ: «**هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ**»[4].

---

(1) **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، (١٥٠/١٥).

(2) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها، (١٢١/٤)، رقم الحديث ٣٤٢٣.

(3) **صحيح البخاري**، البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب المدينة طابة، (٦٦٢/٢)، رقم الحديث ١٧٧٣.

(4) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، (٢٠٣/٨)، رقم الحديث ٧٥٧٣.

وكانت المدينة المنورة في الجاهلية تُعرف باسم «يثرب» وقد ورد في القرءان الكريم حكاية عن قول المنافقين ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ﴾ [سورة الأحزاب].

وقد كره النبيُّ ﷺ هذا الاسم، وأمر أن يستبدل به اسم المدينة أو طابة أو طيبة.

ومن أدلة كراهة تسميتها بذلك ما رواه البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَمَّى الـمَدِينَةَ يَثْرَبَ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، هِيَ طَابَةُ هِيَ طَابَةُ**»[1]. ونعني بقولنا: مكروه تسميتها بـ «يثرب» كراهةً تنزيهيةً والله أعلم.

حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ لِلْمَدِينَةِ الـمُنَوَّرَةِ

لا ريبَ أنَّ حبَّ النبيِّ ﷺ عُدَّ إحدى مناقبِ هذه البلدة الشريفة. وقد وردت أحاديثُ كثيرة تظهر حب رسول الله ﷺ لهذه المدينة المباركة، منها:

---

(١) **مسند أحمد**، أحمد بن حنبل، مسند الكوفيين، حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، (٤/٢٨٥)، رقم الحديث ١٨٥٤٢.

ما روته عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الـمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**»[1].

ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَبَّ البِلَادِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَكَّةُ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مَا خَرَجْتُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا مِنْ حُبِّ المَدِينَةِ مِثْلَ مَا جَعَلْتَ فِي قُلُوبِنَا مِنْ حُبِّ مَكَّةَ**»[2].

عِظَمُ بَرَكَةِ الـمَدِينَةِ الـمُنَوَّرَةِ

امتازت هذه المدينة المباركة بدعاء النبيّ ﷺ لها بالبركة في ذاتها وصاعها ومُدِّها وثمرتها.

فعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَكَ وَخَلِيلَكَ، وَدَعَا لِأَهْلِ مَكَّةَ**

---

(1) **صحيح البخاري**، البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة، (٦٦٧/٢)، رقم الحديث ١٧٩٠.

(2) **المعجم الكبير**، الطبراني، باب العين، عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ذكر سنه ووفاته، (٣٦١/١٢)، رقم الحديث ١٣٣٤٧.

بِالبَرَكَةِ، وَأَنَا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَدْعُوكَ لِأَهْلِ الـمَدِينَةِ أَنْ تُبَارِكَ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ مِثْلَ مَا بَارَكْتَ لِأَهْلِ مَكَّةَ مَعَ البَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ»[1].

وعن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه في حديث قصة فتح خيبر قال: فسرنا حتى إذا أشرفنا على المدينةِ نظر رسول الله ﷺ إلى أُحُدٍ فقال: «**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**». ثم نظر إلى المدينة فقال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا**[2] **بِمِثْلِ مَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ**»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كان الناسُ إذا رأَوْا

---

(1) **سنن الترمذي**، الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل المدينة، (٥/٧١٨)، رقم الحديث ٣٩١٤.

(2) اللابتان مثنى لابة، ومعناها الحرَّة وهي الحجارة السُّود. **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، (١٥/١٣٩). وللمدينة حرَّتان، إحداهما: واقم في الشرق، والأخرى: الوَبَرَة في الغرب.

(3) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الجهاد والسِّير، باب من غزا بصبي للخدمة، (٣/١٠٥٩)، رقم الحديث ٢٧٣٦.

أولَ الثمر جاؤوا به إلى النبي ﷺ فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا**»[1]، ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر.

عِصْمَةُ الـمَدِينَةِ الـمُنَوَّرَةِ مِنَ الأَعْوَرِ الدَّجَّالِ

خروج المسيح الدجَّال هو أحد أشراط الساعة الكبرى، وهو من الأمور المتواترة، وحين يخرج في ءاخر الزمان يعيث في الأرض فسادًا، وتجري على يديه خوارقُ كثيرة، ومن ذلك أنَّه ينزل بلاد الدنيا كلَّها في مدةٍ يسيرةٍ، فلا يُمنع من أيٍّ منها إلَّا من الحرمين الشريفين مكةَ والمدينةِ، زادهما الله تشريفًا وتعظيمًا. وقد ورد في أنَّ الدجال لا يطأُ مكة والمدينة أحاديث منها:

ما رواه أنسُ بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَلَيْسَ نَقْبٌ**

---

(1) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها، (١١٦/٤)، رقم الحديث ٣٤٠٠.

مِنْ أَنْقَابِهَا[1] إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهَا فَيَنْزِلُ بِالسَّبَخَةِ فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»[2].

وما رواه أبو بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ[3]، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ**»[4].

---

(١) أنقاب جمع نَقَب بفتح النون والقاف بعدها موحدة أو نَقْب بالسكون وهما بمعنى. وأصل النّقب: الطريق بين الجبلين، والمراد هنا مداخل المدينة أو أبوابها، أو الطرق التي يسلكها الناس. **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، (١٦١/١٥).

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، (٢٠٦/٨)، رقم الحديث ٧٥٧٧.

(٣) أي الخوف والذعر الذي ينتشر في الآفاق بسبب فتنته.

(٤) **صحيح البخاري**، البخاري، فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، (٦٦٤/٢)، رقم الحديث ١٧٨٠.

عِصْمَةُ الـمَدِينَةِ الـمُنَوَّرَةِ مِنَ الطَّاعُونِ

الطاعون على وزن فاعول، من الطعن، عُدِل عن أصله ووُضعَ على هذه الصيغة للدلالة على الموت العامّ، وقد اختلف أهل اللغة وأهل الفقه والأطباء في تعريفه، وأكثرهم على أنَّ حقيقته ورمٌ ينشأ عن هيجان الدم أو انصبابه إلى عضوٍ فيفسده.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَلَى أَنْقَابِ الـمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ**»[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عنِ النبيّ ﷺ قال: «**الـمَدِينَةُ يَأْتِيهَا الدَّجَّالُ، فَيَجِدُ الـمَلَائِكَةَ يَحْرُسُونَهَا فَلَا يَقْرَبُهَا الدَّجَّالُ، وَلَا الطَّاعُونُ إِنْ شَاءَ اللهُ**»[2].

---

(1) **صحيح البخاري**، البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، (٢/٦٦٤)، رقم الحديث، ١٧٨١. **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها، (٤/١٢٠)، رقم الحديث ٣٤١٦.

(2) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة، (٦/٢٦٠٦)، رقم الحديث ٦٧١٥.

أُرُوزُ الإِيمَانِ إِلَى الـمَدِينَةِ الـمُنَوَّرَةِ

مهما ضاقت البلاد والعباد بالإيمان فإنه يلجأ إلى المدينة المنورة، التي منها خرج فأضاء الكون وملأ الدنيا.

فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الـمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا**»(٢).

قال ابن حجر العسقلاني في الفتح(٣): قوله «**كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**» أي أنها كما تنتشر من جحرها في طلب ما تعيش به، فإذا راعها شيء رجعت إلى جحرها، كذلك الإيمان انتشر في

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلى المدينة، (٦٦٣/٢)، رقم الحديث ١٧٧٧.

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبا وأنه يأرز بين المسجدين، (٩٠/١)، رقم الحديث ٣٩٠.

(٣) **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، (١٥٩/١٥).

المدينة، وكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لمحبته في النبي ﷺ فيشمل ذلك جميع الأزمنة لأنه في زمن النبي ﷺ للتعلم منه، وفي زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم للاقتداء بهديهم، ومن بعد ذلك لزيارة قبره ﷺ والصلاة في مسجده والتبرك بمشاهدة ءاثاره وءاثار أصحابه.

شَفَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ لِمَنْ يَصْبِرُ عَلَى المُقَامِ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ

يشفعُ النبيُّ ﷺ ويشهد يوم القيامة لمن ثبت بالمدينة المنورة وصبر على لأوائها ولم يستبدل بها غيرها. ولذلك استمسك عددٌ من الصحابة بالبقاء فيها حتَّى في وقت الشدائد وحصول الجهد. والشفاعة هي طلب الخير للغير، ولا تكون لغير المسلم، فقد قال رسول الله ﷺ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**».

فقد روى يُحَنَّسُ مولى الزبير أنه كان جالسًا عند عبد الله بن عمر في الفتنة فأتته مولاة له تسلِّمُ عليه، فقالت: إني أردت الخروج يا أبا عبد الرحمن، اشتد علينا الزمان. فقال لها عبد الله: اقعدي

لكاع فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَا يَصْبِرُ عَلَى لأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا**» إما أن تكون «أو» للتقسيم فيكون شهيدًا لبعض أهل المدينة وشفيعًا لبقيتهم، وإما شفيعًا للعاصين وشهيدًا للمطيعين، وإما شهيدًا لمن مات في حياته وشفيعًا لمن مات بعده، أو غير ذلك. قال القاضي: وهذه خصوصية زائدةٌ على الشفاعة للمذنبين أو للعالمين في القيمة وعلى شهادته على جميع الأمة وقد قال ﷺ في شهداء أحد: «**أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ**» فيكون لتخصيصهم بهذا كله مزيدٌ أو زيادةُ منزلةٍ وحظوةٍ.

قال: وقد تكون «أو» بمعنى الواو فيكون لأهل المدينة شفيعًا وشهيدًا[2].

---

(1) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها، (١١٩/٤)، رقم الحديث ٣٤١١.

(2) **شرح صحيح مسلم**، النووي، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، (١٣٧/٩).

تَضَاعُفُ ثَوَابِ الصَّلَاةِ فِي المَسْجِدِ النَّبَوِيّ

جعل الله تعالى الصَّلاةَ في المسجد النبوي أفضل من الصلاة في غيره من المساجد ما عدا المسجدَ الحرام، وجعل ثوابَ الصلاة في هذا المسجد ثوابَ ألفِ صلاةٍ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ**»[1].

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنه أنه قال: إن امرأةً اشتكت شكوى، فقالت: إن شفاني اللهُ لأخرجنَّ فلأصلينَّ في بيت المقدس. فبرئت ثم تجهزت تريد الخروج فجاءت ميمونة زوج النبي ﷺ تُسَلِّمُ عليها فأخبرتها ذلك فقالت: اجلسي فكلي ما صنعتُ وصلي في مسجد الرسول ﷺ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**صَلَاةٌ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ**

---

(1) **صحيح البخاري**، البخاري، أبواب التطوع، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، (٣٩٨/١)، رقم الحديث ١١٣٣. **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، (١٢٤/٤)، رقم الحديث ٣٤٤٠.

إِلَّا مَسْجِدَ الْكَعْبَةِ»[1].

وَفَاةُ الرَّسُولِ ﷺ فِي الـمَدِينَةِ الـمُنَوَّرَةِ وَدَفْنُهُ بِهَا

هذه الفضيلة من أعظم الفضائل وأكرمها، فإنَّ جسده ﷺ أشرف الأجساد، ولا شكَّ أن المكان الذي يضمُّهُ طيِّبٌ مباركٌ ولا سيّما أنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام اختُصُّوا بالدفن حيث ماتوا.

وقد كان النبي ﷺ في مرضِ موته يتحرَّى يوم عائشة. فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه: «**أَيْنَ أَنَا غَدًا أَيْنَ أَنَا غَدًا**»، يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء فكان في بيت عائشة حتى مات عندها، فمات في اليوم الذي كان يدور علي في بيتي فقبضه الله وإن رأسه

---

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، (١٢٥/٤)، رقم الحديث ٣٤٤٩.

لبين نحري وسحري وخالط ريقه ريقي[1].

فهذا منه ﷺ فيه بيانٌ لفضيلة المكان الذي قُبرَ فيه، وهذا ما فهمه كبار الصحابة، وعلى رأسهم أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه.

فعن سالم بن عبيد وكانت له صحبة، قال: أُغمِيَ على رسول الله ﷺ في مرضه فأفاق. الحديثَ في مرضه ﷺ ووفاته، وإعلان أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه بوفاته ﷺ والصلاة عليه، حتى قال: قالوا: يا صاحب رسول الله، أقُبِضَ رسول الله؟

قال: نعم.

قالوا: يا صاحب رسول الله، أيصلى على رسول الله؟

قال: نعم.

فقالوا: وكيف؟

قال: يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون، ثم يخرجون، ثم يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون، ثم يخرجون حتى يدخل الناس.

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب النكاح، باب إذا استأذن الرجل نسائه في أن يمرض في بيت بعضهن فأذن له، (٥/٢٠٠١)، رقم الحديث ٤٩١٩.

قالوا: يا صاحب رسول الله، أيُدفن رسول الله؟

قال: نعم.

قالوا: أين؟

قال: في المكان الذي قَبَضَ اللهُ فيه روحَه، فإن الله لم يقبض روحَه إلا في مكان طيب[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لمَّا قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنِه، فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا ما نسيته، قال: «**مَا قَبَضَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي الـمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ**» ادفنوه في موضع فراشه[2].

وقد نقل النووي والصالحي وغيرهم عن القاضي عياضٍ الإجماعَ على أنَّ موضعَ قبرِهِ أفضل بقاع الأرض، وأنه أفضل من الكعبة الشريفة.

ونقل الصالحي عن القاضي تاج الدين السبكي أنه نقل عن

---

(1) **الشمائل المحمدية**، الترمذي، باب ما جاء في وفاة رسول الله، (ص٣٣٧، ٣٣٨).

(2) **سنن الترمذي**، الترمذي، كتاب الجنائز، (٣٨/٣)، رقم الحديث ١٠١٨.

ابن عقيل الحنبلي أنَّ القبر أفضل من العرش، وعن التاج الفاكهي أنه أفضل من السموات[1].

وللمدينة غير ذلك من الفضائل الكثيرة التي يَصعب حصرها لضيق المقام، فهي تنفي خبثَها، ومسجدها أحد المساجد الثلاثة التي لا تُشدُّ الرحال إلا إليها، وفي مسجدها روضةٌ من رياض الجنة، وفي مسجدها منبره ﷺ وهو على حوضه وعلى ترعة من ترع الجنة، وفيها مسجد قباء الذي أُسِّسَ على التقوى، وفيها جبل أحدٍ الذي يُحبه الله ورسوله، وفيها الوادي المبارك وادي العقيق.

اللّٰهُمَّ ارزقنا زيارةَ حبيبك المصطفى ﷺ وشفاعته ومجاورته، صلَّى الله عليه وعلى كلِّ رسولٍ أرسله.

---

(1) **شرح صحيح مسلم**، النووي، (٩/١٦٣، ١٦٤). **سبل الهدى والرشاد**، الصالحي، (٣/٤٥١، ٤٥٢). وذكر ابن كثير في **البداية والنهاية** (٣/٢٠٣) أنَّ المشهور عن الجمهور أنَّ مكة أفضل من المدينة إلا المكان الذي ضمَّ جسدَ رسول الله ﷺ.

الباب السابع

أُمُورٌ مُتَسَلسِلَةٌ بِحَسَبِ التَّارِيخِ الهِجرِيّ

السَّنَةُ الأُولَى

في هذه السنة:

- جُعلت صلاة الحضر أربع ركعاتٍ بعد أن كانت ركعتين.
- بنى ﷺ مسجده ومساكنه ومسجد قباء.
- ءاخى بين المهاجرين والأنصار.
- أسلم عبد الله بن سلام.
- شُرع الأذان.
- أمر ﷺ بالصلاة إلى بيت المقدس فصلى نحوه سبعة عشر شهرًا.
- بعث ﷺ ابن عمه عبيدة بن الحارث رضي الله عنه إلى بطن رابغ في ستين أو ثمانين رجلًا من المهاجرين ليس فيهم أنصار، وهو أول بعث في الإسلام، ورمى فيها سعد بن أبي وقاص بسهمٍ فكان أول سهمٍ رمي في الإسلام.
- صام رسول الله ﷺ عاشوراء وأمر بصومه.
- مات من صناديد المشركين من قريش العاص بن وائل السهمي والوليد ابن المغيرة.

السَّنَةُ الثَّانِيَة

في هذه السنة:

- أُمر فيها ﷺ باستقبال المسجد الحرام الكعبة.
- في شعبان منها فرض صوم رمضان.
- فرضت زكاة الفطر قبل العيد بيومين.
- كانت غزوة بدر الكبرى في رمضان.
- في شوال منها تزوج عائشة رضي الله عنها.
- تزوج عليٌّ فاطمة.
- غزوة بني قَيْنُقَاع في شوال.
- غزوة السَّوِيق في ذي الحجة.
- غزوة ذي العُشيرة في جمادى الآخرة.
- غزوة بُواط في شهر ربيع الأول.
- ضحَّى رسول الله ﷺ بكبشين أملَحَين[1] أحدهما عن أمته والآخر عن محمد وءال محمد.
- وفاة رقية بنته ﷺ رضي الله عنها.

---

(١) الأملح هو الذي بياضه أكثر من سواده، وقيل هو النقي البياض.

- دخل ﷺ بعائشة رضي الله عنها.
- رُزِق عبد الله بن الزبير والنعمان بن بشير رضي الله عنهما بأوَّلِ مولودٍ للمهاجرين وأوَّل مولودٍ للأنصار.

السَّنَة الثَّالِثَة

في هذه السَّنة:

- غزا فيها ﷺ غزواتٍ منها غزوةُ أحدٍ يوم السبت السابع من شوال.
- غزوة بني النضير.
- غزوة حمراء الأسد.
- حرمت الخمر بعد أُحد وقيل في السنة الرابعة.
- تزوج ﷺ حفصة بنت عمر في شعبان.
- تزوج ﷺ زينب الهلالية في رمضان.
- تزوج عثمانُ أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ.
- ولد الحسن بن عليٍّ رضي الله عنه.

السَّنَة الرَّابعة

في هذه السنة:

- غزوة الخندق وقيل في السنة الخامسة وهي غزوة الأحزاب.
- نزل الحجاب.
- قصرت الصلاة.
- نزل التيمم.
- غزوة بدر الصغرى.
- تزوج زينب بنت جحش.
- توفيت السيدة زينب بنت خزيمة العامرية الملقبة بأم المساكين رضي الله عنها.
- تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنها.
- توفيت فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب.

السَّنَة الخَامِسَة

في هذه السنة:

- غزوة ذات الرقاع في أول المحرم وقيل في السنة الرابعة، وبها

صلى صلاة الخوف.

- غزوة دُومة الجَندل.
- غزوة بني قُريظة على قول.
- غزوة المُرَيْسِيع.
- حديث الإفك.
- تزوج ﷺ ريحانة وجويرية.

السَّنَةُ السَّادِسَة

في هذه السنة:

- غزوة الحُديبية.
- بَيعة الرضوان.
- غزوة بني المُصطَلِق.
- كسفت الشمس، فصلى النبي ﷺ صلاة الكسوف.
- نزل حكم الظهار.
- غزوة بني لِحيان.
- قحط الناس فاستسقى رسول الله ﷺ بالناس في شهر رمضان

فسقوا.

- فُرِضَ الحجُّ على الصحيح عند كثير من الشافعية، وقال بعضهم: في التاسعة، وبعضهم: في الخامسة.
- أسلم عقيل بن أبي طالب.

السَّنَة السَّابِعة

في هذه السنة:

- غزوة خيبر.
- تزوج ﷺ أم حبيبة وميمونة وصفية.
- جاءته ﷺ مارية وبغلته «دُلدُل».
- قدم جعفر وأصحابه من الحبشة.
- أسلم أبو هريرة وعمرانُ بن حصين.
- كانت فيها عمرة القضاء.
- حُرّم الحمر الأهلية ونهي عن متعة النساء يوم خيبر.
- بعث ﷺ الرسل إلى كسرى وقيصر والنجاشي وغيرهم.

السَّنَة الثَّامِنة

في هذه السنة:

- غزوة مؤتة وذات السلاسل.
- فتحت مكة في رمضان.
- ولد ابنه ﷺ إبراهيم.
- توفيت بنته ﷺ زينب.
- غزوة حنين والطائف.
- عُمل منبر النبي ﷺ وخطب عليه وحن إليه الجذع الذي كان يخطب عنده، وهو أول منبر عمل في الإسلام.
- أسلم عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة.
- ماتت أكبر بنات النبي ﷺ وهي زينب زوجة أبي العاص بن الربيع، وقد جعل عليها ﷺ ثوبه بعد غسلها وقبل تكفينها لينالها بركة أثره.
- أسلم العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أمية المخزومي وأبو قحافة والد الصديق الأكبر رضي الله عنهم.

السَّنَة التَّاسِعَة

في هذه السنة:

- غزوة تبوك.
- حج أبو بكر بالناس.
- هدم رسول الله ﷺ مسجد ضِرار بالمدينة وكان المنافقون بنوه.
- توفيت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ والنجاشي أصحمة ملك الحبشة وكان قد أسلم فكان من خيار المؤمنين.
- تتابعت الوفود فدخل الناس في دين الله أفواجًا. وقد سميت هذه السنة سنة الوفود لكثرة من وفد فيها من الوفود عليه ﷺ، فمنهم من أهل نجران ومنهم من بني تميم ومنهم من بني حنيفة، ومنهم من طيِّئ، ومنهم من بني زبيد، ووفد اليمن ووفد كندة وثقيف وغيرهم.
- مات عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق الذي نزل فيه قوله تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴿٨٤﴾﴾ [سورة التوبة].
- قتل عروة بن مسعود الثقفي، قتله قومه لما دعاهم إلى

الإسلام.

- توفي سهيل بن بيضاء الفهري وصلى عليه ﷺ في المدينة.
- قتل ملك الفرس وولوا ابنته «بوران».

السَّنَة العَاشِرة

في هذه السنة:

- حج رسول الله ﷺ حَجة الوداع.
- وفاة إبراهيم ابنه ﷺ.
- إسلام جرير.
- نزل قوله تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ۝٣﴾ [سورة المائدة] أي قواعد دينِكم.
- ادعى مسيلمة النبوة، فكذبه رسول الله ﷺ وسمَّاه الكذَّاب.

الباب الثامن

الهِجرَةُ النَّبَوِيَّةُ
بِأَقلَامِ الشُّعَرَاء

ـ رَسُــولَ اللهِ مَا أَجْـلَــى سَــنَاكَ:

رَسُــولَ اللهِ مَا أَجْـلَــى سَــنَاكَا وَنُورُ الشَّــمْسِ بَعْضٌ مِنْ ضِيَاكَا

هَجَـرْتَ الرِّجْــسَ وَالأَوْثَانَ طُرًّا وَنُورُ الحَـقِّ تَــاجٌ قَـدْ عَــلَاكَا

وَجُـلُّ النَّـاسِ فِي الأَهْـوَاءِ صَرْعَى تُـنَـاجِـي الصُّمَّ جَهْلًا مَا عَدَاكَا

شَـهَــرْتَ الحَــقَّ لَأْلَاءً مُـنِــيرًا بُـدُورُ الحَـقِّ تَسْــرِي فِي سَمَاكَا

وَثَـارَ الشِّــرْكُ كَالــطُّوفَانِ يُرْغِي وَيَـزبـدُ فِي مَـقَـالَـةِ مَـا دَهَـاكَا

خُـيُـوطَ اللَّـيْـلِ إِذْ لَبِسُوا فَتَاهُوا وَرَامُـوا الـمَـكْرَ فِي حِقْدٍ هُنَاكَا

أَرَدْتَ الخَـيْــرَ لِـلأَقْـوَامِ لَـكِنْ أَرَادُوا الـمَـكْرَ حُمَّى فِي حَشَاكَا

وَقَـالُــوا الـمَـجْـدَ تُـعْطَاهُ وَمَالًا وَحُـورًا مِـنْ نِسَــاءٍ فِي حِمَــاكَا

أَجَبْتَ الشَّمْسُ لَوْ وُضِعَتْ بِيُمْنَى وَفِي يُسْــرَايَ بَـدْرُ الكَوْنِ هَاكَا

فَـذَا الإِسْــلَامُ لَا يُــعْطَى بِشَيْءٍ وَلَـنْ أَرْضَــى بِـهَـذِي أَوْ بِذَاكَا

فَـمَـنُّـوا النَّفْــسَ فِي غَدْرٍ مُشِينٍ وَرَبُّ الـكَـوْنِ مِـنْ غَـدْرٍ حَمَاكَا

هَـجَـرْتَ الـدَّارَ فِي غَسَقِ اللَّيَالِي تُوَالِي السَّــيْرَ سِــرًّا فِي سُــرَاكَا

وَخِـلُّ القَـلْـبِ صِـدِّيـقٌ صَدُوقٌ يَـرُومُ الـذَّوْدَ لَا يَــرْضَى عَنَاكَا

نَـزَلْـتَ الغَـارَ فِي أَمْـنٍ أَمِـيـنٍ قَـرِيـنُ الخَيْرِ يَـثْـبُتُ لَا حَرَاكَا

وَبِـنْـتُ الـعَيْنِ تَهْـمِي مِنْ صَـفِيٍّ يُـعَـانِي الـذُّعْـرَ خَـوْفًا وَارْتِبَاكَا

أَجَـبْـتَ الخِـلَّ لَا تَحْـزَنْ وَتَيْأَسْ أَلَا وَاهْـدَأْ وَأَمْـعِـنْ فِي هُـدَاكَا

خَـرَجْـنَـا نَـبْـتَـغِـي حَـقًّا رِضَاهُ وَإِنْ تَـرْجُـوهُ لَـمْ يَـخْذُلْ رَجَاكَا

وَكَـانَ الـغَـارُ مُـنْـطَـلَـقًا لِوَحْيٍ وَهَـذَا الغَـارُ مَجْـدٌ فِي خُـطَـاكَا

عَـلَـوْتَ الـبِـشْرَ تَحْدُوْ فِي الفَيَافِي نَشِـيدَ الشَّوْقِ مَا أَشْجَى صَدَاكَا

أَتَـيْـتَ الـقَـوْمَ وَالأَحْشَاءُ ذَابَتْ فَبَثُّـوا الشَّـوْقَ وَجْدًا فِي لِقَـاكَـا

لِسَـانُ الحَـالِ قَـدْ وَافَى عَـلَـيْنَا وَفَجْـرُ الدِّينِ يَسْـطَعُ مِنْ نُهَاكَا

وَصَـاحَ الكُـلُّ فِي صَـوْتٍ مُدَوٍّ أَبَا الـزَّهْرَاءِ فَلْتَـغْـرِسْ لِـوَاكَـا

أَبَـا الـزَّهْـرَاءِ يَـا غَـيْـثًا هَتُونًا حَبِـيـبَ اللهِ مَا أَدْنَى جَـنَـاكَـا

أَيَـشْـرِبُ لَـنْ تُـضَـامِي فِي حِمَـاهُ وَذَا زَهْـرٌ بِـقَـفْـرٍ لَـنْ يُـشَـاكَا

فَأَمْسَـى الحِـقْـدُ فِي عَـارٍ مُرِيعٍ يُـعَـانِي الذُّلَّ خَـوْفًا مِـنْ إِبَـاكَـا

فُـلُـولُ البُـطْـلِ قَـدْ هَرَّتْ وَفَرَّتْ وَصَرْحُ الظُّـلْمِ لَنْ يَخْشَى سِوَاكَا

غَرَسْـتَ اليُـمْنَ فِي قَحْطٍ وَقَحْلٍ رَوَيْـتَ الغَـرْسَ بِشْرًا مِنْ نَـدَاكَا

فَأَضْحَى الجَدْبُ جَنَّاتٍ حِسَانًا وَهَذَا الرَّوْضُ مُبْتَهِجٌ وَذَاكَا

أَبَا الزَّهْرَاءِ قَدْ أَرْسَيْتَ أُسًّا مَكِينَ الأَصْلِ فَلْتَهْنَأْ يَدَاكَا

وَصَحْبُ الخَيْرِ أَطْيَارٌ بدوح أَشَاعُوا الأُنْسَ شَدْوًا فِي رُبَاكَا

وَنَحْنُ اليَوْمَ فِي ذُكْرٍ وَذِكْرَى نَرُصُّ الصَّفَّ تَرْعَانَا رُؤَاكَا

سَعِدْنَا وَاسْتَفَدْنَا إِذْ صَعِدْنَا إِلَى سُفُنٍ تُنجي مَنْ فَدَاكَا

فَدَاكَ بِرُوحِهِ حُبًّا وَعِشْقًا وَأَيْنَ الشطُّ يَكْلَؤُنَا سِوَاكَا

فَسَلْوَانًا بِأَنَّا قَدْ حَظِينَا بِطَوْدٍ شَامِخٍ يُعْلِي بِنَاكَا

مُحَدِّثُ عَصْرِهِ يَحْنُو عَلَيْنَا وَيُرْشِفُنَا رَحِيقًا مِنْ جَنَاكَا

وَيُرْوِينَا بِسَلْسَالٍ رَسِيلٍ تَدَفَّقَ مِنْ أَعَالٍ فِي رُبَاكَا

يُتَوِّجُنَا بِتَاجٍ مِنْ فَخَارٍ نِزَارِ الخَيْرِ يَسْطَعُ مِنْ بَهَاكَا

تَلَأْلَأَ فِي جَمَالٍ فِي جَلَالٍ يُضَارِعُ وَصْفُهُ حقًّا إِيَاكَا

وَسَلَّ لَنَا حُسَامًا لِلرَّزَايَا لِيُبْعِدَ عَنْ أَحِبَّتِهِ الهَلَاكَا

وَإِنَّ العَهْدَ نَقْطَعُهُ بِأَنَّا سَنَمْشِي فِي خُطَاهُ عَلَى خُطَاكَا

أَبَا الزَّهْرَاءِ عُذْرًا فِي بَيَانِي فَنَظْمُ الشِّعْرِ لَا يَرْقَى عُلَاكَا

وَغُـضَّ الطَـرْفَ عَـنْ عَـبْدٍ أَثِيمٍ وَإِنْ تُـزْجِ الوِصَـالَ لَـهُ فَــذَاكَا

سَـــلَامُ اللهِ أشـــفعه بوجـدي لِيَهْنَا القَـلْـبُ دَوْمًـا فِي رِضَـاكَا

صَــلَاةُ اللهِ أُرْسِــلُــهَــا تِبَاعًا عَسَاهَا النَّفْسُ أَنْ تَحْظَى عَطَاكَا

وَإِنِّي الآنَ أُعْـلِـنُـهَـا جِــهَــارًا جَعَـلْـتُ الرُّوحَ يَا حِــبِّيْ فِدَاكَا

ـ والأَمْرُ منَ المَوْلَى جَاءَ:

الظَّـــالـــم دُنْـيـــا تَـــفْـتِنُهُ والحِـقْـدُ شُعورٌ يُعْلِنُهُ

ضَـرْبٌ تَعْذِيبٌ بَلْ قَتْلٌ الـغَـدْرُ سُمُومًا يُتْقِنُهُ

وبلالٌ يُرْمَى في الصَّحْرَا وأميَّةُ يُرْغِمُهُ الكُفْرَا

أحَـدٌ أحَـدٌ أبَـدًا جَهْرَا وبـلالٌ يَـظْهَرُ مَعْدِنُهُ

والجـاهلُ يَـتْـبَعُ أهْواءَا والظُّـلْمُ يَعُمُّ الأرْجَاءَا

والأمْرُ منَ المَوْلَى جَاءَا والدِّيـنُ بـهَـذا مَأْمَنُهُ

يا دُنْـيَـا هَـذي دوْلَـتُنا ومُحـمَّـدُنا هوَ قُدوتُنا

وبِـدِيـنِ الحَقِّ سَعادتُنا وبغالي النَّفْسِ نُحَصِّنُهُ

ـ أهلًا وسهلًا هجرةَ المختارِ:

أهلًا وسهلًا هجرةَ المختارِ يا مَرْحبًا بالموعدِ المِعْطارِ
منكِ النَّدى فيكِ الهُدى ضاءَ المَدَى يا مُلْتقى الأسْرارِ بالأنْوارِ
منكِ المَوَاعظُ تُسْتقى بعُذُوبةٍ لكِ كلَّ عامٍ لَهْفَةُ الأنْظارِ

ـ وَيحَ قَومٍ جَفَوْا نَبِيًّا:

وَيْحَ قَوْمٍ جَفَوْا نَبِيًّا بِأَرْضٍ أَلِفَتْهُ ضبَابُهَا وَالظِّبَاءُ
وَسَلَوْهُ وَحَنَّ جِذْعٌ إِلَيْهِ وَقَلَوْهُ وَوَدَّهُ الغُرَبَاءُ
أَخْرَجُوهُ مِنْهَا وَءَاوَاهُ غَارُ وَحَمَتْهُ حَمَامَةٌ وَرْقَاءُ
وَكَفَتْهُ بِنَسْجِهَا عَنْكَبُوتٌ مَا كَفَتْهُ الحَمَامَةُ الحَصْداءُ
وَنَحَا المُصْطَفَى المَدِينَةَ وَاشْتَا قَتْ إِلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ الأَنْحَاءُ
وَتَغَنَّتْ بِمَدْحِهِ الجِنُّ حَتَّى أَطْرَبَ الإِنْسَ مِنْهُ ذَاكَ الغِنَاءُ

ـ تَحَمَّلَ يَبْتَغِي مَوْلَاهُ:

تَحَمَّلَ يَبْتَغِي مَوْلَاهْ وَهَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللهْ
رَسُولُ اللهِ قَائِدُنَا وَمَنْ بِالحَقِّ قَدْ وَالَاهْ
جَرَتْ فِي دَمْعِهَا المُقَلُ فَمِنْ أُمِّ القُرَى رَحَلُوا
إِلَى أَرْضٍ مُبَارَكَةٍ وَشَوْقُ القَلْبِ يَشْتَعِلُ
بِبَابِ المُصْطَفَى الأَنْوَرْ أَتَى الكُفَّارُ بِالمُنْكَرْ
عَلِيٌّ بَاتَ مُلْتَحِفَا بِبُرْدِ المُصْطَفَى الأَخْضَرْ
فَفَرَّ المُشْرِكُونَ بِهِ وَكَانَ اللهُ مَنْ يَسَّرْ
إِلَى أَنْ غَادَرَ الهَادِي وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ تَظْهَرْ
وَرَافَقَهُ أَبُو بَكْرٍ بِذَاكَ الغَارِ قَد حَذِرُوا
مِنَ الكُفَّارِ مَكْرَهُمُ فَغَطَّى بَابَهُ الشَّجَرُ
بِنَسْجِ العَنْكَبُوتِ بَلَى بِطَيْرِ الوَرْقِ قَدْ ظَفِرُوا
وَرَدَّ اللهُ كَيْدَهُمُ فَلَمْ يُوفِيهِمُ الأَثَرُ
وَوَاصَلَ دَرْبَ هِجْرَتِهِ وَأَنْهَى رِحْلَةَ السَّفَرِ
مَسِيرَتُهُ وَسِيرَتُهُ بِحَقٍّ أَعْظَمُ السِّيَرِ

مَـدِيـنَـتُـهُ الـمُـنَوَّرَةُ بِـنُـورِ الآيِ وَالسُّـوَرِ
وَءَاخَـى بَـيْـنَ أَهْليهَا نَبِيُّ اللهِ مِنْ مُـضَـرِ

ـ بَعْدَ الخُطُوبِ الشَّائِكَ:

بَـعْدَ الخُطُوبِ الشَّـائِكَةْ وَالـظُّـلْـمِ وَالأَوْزَارْ
تِلْـكَ اللَّيَـالِـي الحَالِكَةْ تَـزْدَانُ بِـالأَنْـوَارْ
فَـسَـيِّـدُ المَـلَائِـكَةْ بِـالأَمْـرِ جَـاءَ وَزَارْ
بِـهِـجْـرَةٍ مُـبَـارَكَـةْ لِـلْـمُـصْـطَفَى الـمُـخْتَارْ
عَرَضُوا الـمِائَةَ النُّوق لِمَـنْ يَـأْتِـي بِـرَسُـولِ الغَفَّارِ
خَـسِرُوا حَقًّا عَرضًا وَثَمَنْ وَيْـلٌ لِلـظَّـالِـمِ فِـي النَّـارِ
هَـادِيـنَـا وَالصِّـدِّيقُ مـعَا فِي الـغَـار ثُـقُـوبًـا قَدْ وجدَا
وَأَبُـو بَـكْـرٍ فِـيـهَـا وَضَعَا ثَـوْبًـا مَـزَّقَـهُ إِذْ وَرَدَا
وَيَسُـدُّ البَـاقِي مِـنْ خَوْفٍ بِـالـرِّجْـلِ لِـكَيْ يَـحْمِيَ طَهَ
لَـدَغَـتْهُ الأَفْعَى مِنْ جَوْفٍ مَـا حَـرَّكَـهَـا رغْـمَ أَذَاهَـا

فَبَكَى مِنْ أَلَمٍ أَتْعَبَهُ وَالدَّمْعَةُ أَيْقَظَتِ المَحْبُوبْ
بِالرِّيقِ الطَّاهِرِ طَيَّبَهُ وَارْتَاحَ مِنَ الأَلَمِ المَكْرُوبْ
وَيَمُرُّ الوَقْتُ عَلَى المُشْتَاقْ وَالخَوْفُ تَزَايَدَ وَالأَشْوَاقْ
فَمَتَى بُشْرَانَا تَأْتِينَا وَمَتَى سَتَرَى طَهَ الأَحْدَاقْ
أَهْلًا يَا مَنْ جَاءَ إِلَيْنَا فِي طَيْبَةَ نَادَى العُشَّاقْ
طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا وَارْتَاحَ لِمَرْءَاهُ الخَفَّاقْ

ـ يَوْمُ الهِجْرَةِ مَشْهُودٌ:

يَوْمُ الهِجْرَةِ مَشْهُودٌ فِيهِ لِطَهَ تَأْيِيدُ
واللَّيْلُ الأَدْهَمُ وَلَّى وَبَدَا النُّورُ المَوْرُودُ
هَادِينَا أَقْوَى الشُّجْعَانْ هَاجَرَ للهِ الرَّحْمَنْ
مَا كَانَ جَبَانًا مَا كَانْ وَهوَ بِنَصْرٍ مَوعُودُ

ـ تَارِيخُنَا اللَّأْلَاءُ:

مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ بَدَا وَدَعَا إِلَى الإِسْلَامْ

وَلِلْـــحَــقِّ العَظِيمِ هَدَى قُـدُمًـــا بِـــلَا إِحْـجَـامْ

فِـدَاهُ الـــرُّوحُ كَـــمْ عَانَى مِـــنْ زُمْـــرَةِ الـــظُّـلَّامْ

وَذَاقَ الـــضُّـــرَّ أَلْـــوَانًـا يَـــتَـــحَـــمَّـــلُ الإِيـــلَامْ

لَـكِـنَّمَا الـمُخْتَارُ مَا انْثَنَى حَاشَـــا جَـنَـــابِهِ أَنْ يَجْبنَا

وَتَوَسَّعَتْ أَعْدَادُ الـمُهْتَدِينْ رُغْمَ الأَذَى وَالضَّرْبِ بِالقَنَا

خَبَّـابٌ يُـكْـــوَى بِـــالنَّـارْ وَبِـلَالٌ تَـــحْـــتَ الأَحْجَارْ

وَتُـعَـــذَّبُ أُسْـــــرَةُ عَمَّارِ وصُـهـيـبٌ يـلقى الأخطارْ

ودبَّـر الـعـــدى المؤامراتْ وهـمُ الطغاةُ أهلُ الموبقاتْ

لـكـــنَّ مصطفانا المجتبى وصـحـبَـهُ جبـالٌ راسياتْ

صـمـدوا في وجه الشيطانْ مـن عـاون أهـل الطغيانْ

كـي يـطـفـئ نورَ الإيمانْ هيـهـاتَ يـفوزُ الكفـــرانْ

قد حاول السفهاءْ بمكيدةٍ ودهاءْ قتلَ النبيّ الزينْ في ليلة ليلاءْ

واللهُ ذو الآلاءْ نجـاهُ مـن بـأساءْ أعماهُمُ عنه فالعين كالعمياءْ

ومضى أبو الزهرا في هجرةٍ كبرى نحو الغد الآتي وملؤها البشرى

ولطيبة كانت هجرتُهُ فبه نالت بشراها
وهناك انتشرت دعوتُهُ والله البَرُّ حماها
وهدى الآلاف وعلَّمها توحيدَ إلهِ الأكوانْ
وجيوش الدعوة نظَّمها كي يدحرَ شرَّ الطغيانْ
ولمكة عاد المختارُ بالفتح بإذن المولى
يتبعه الجيش الهدارُ فارتاع الجهلُ وولَّى
وارتفعت رايات النصرِ وتهاوت كلُّ الأصنامْ
وأضاءت أيام الدهرِ بمحاسن دين الإسلامْ

ـ كَأَنَّ حِمَى مَكَّةَ قَد بَدَا:

كَأَنَّ حِمَى مَكَّةٍ قَدْ بَدَا كَشَمْسِ الصَّبَاحْ
بَأَحْمَدَ طَهَ نَبِيّ الهُدَى يُضِيئُ البِطَاحْ
لَكِنْ فِي أَوَّلِ دَعْوَتِهِ مَا قَاتَلَ طَهَ الكُفَّارَا
بَلْ كَانَ يَمُرُّ وَيَدْعُوهُمْ دَوْمًا وَيُحَذِّرُهُمْ نَارَا

فَـــآمَـــــنَ القَـلِـيـــــلْ بِـــهِ وَبِـالتَّـنْـزِيـــلْ

وَازْدَادَ الـــمُـــشْـــــــــرِكُونْ بِالبَغْـــــيِ وَالتَّضْـــلِـيـلْ

فَـــــبِـــــلَالٌ يُـــضْـــرَبْ وَسَـــطَ الصَّـحْرَاءْ

وَيُـــــهَـــــانُ وَيُسْـــحَـبْ وَتَـسِـيـلُ دِمَـــــاءْ

مَـهْـــمَـــا يَـــتَـــعَـذَّبْ قَـدْ رَفَـعَ نِـــدَاءْ

أَحَـــدٌ أَحَـــــــدٌ رغْـــمَ الأَعْـــدَاءْ

وَكَانَ قَـــوْمٌ أَسْـلَـمُوا وَقَدْ أَتَـوا مِـنْ طَيْبَةٍ

وَعَلَّـمُـوا صَـحْـبًا لَهُمْ فَـازْدَادَ أَنْصَارُ النَّبِيّ

وَتَعَـاوَنَ أَهْـلُ الإِشْرَاكِ لِلْـفَتْكِ بِهَادِينَا الزَّاكِي

وَاجْتَمَـعُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلٍ وَمَعَ الشَّيْطَانِ الأَفَّاكِ

وَقَـفُـوا عِـنْـدَ الـبَـابْ بِـسُـيُـوفٍ وَحِـرَابْ

وَإِذَا بِـالـمُـخْـتَـارْ يَـخْـرُجُ لِـلأَعْرَابْ

فَالـمَـوْلَى أَعْـمَـاهُـمْ عَـنْ طَـهَ بِحِجَابْ

وَالـهَـادِي مِـنْ يَـدِهِ يَـرْمِـيـهِـمْ بِـتُرَابْ

وَنَجَـا طَـهَ عِـنْـدَئِـذٍ مِـنْ أَحْـقَادِ الضُّلَّالِ

وَمَشَـى مَعَهُ صَاحِبُهُ ذَاكَ الصِّـدِّيـقُ الغَالِي

تَرَكَـا مَـكَّـةَ لَا جُـبْـنًـا بَـلْ أَمْـرُ اللهِ الوَالِي

دَخَـلَا فِي غَـارِ ثَـوْرٍ فَازْدَهَـى فيمن يَبِيْتُ

وَعَـلَـى البَـابِ نَسِيجٌ نَـسَـجَتْهُ العَنْكَبُوتُ

بَـعْـدَهَـا وَافَى حَـمَامٌ بَـاضَ فِي العشِّ وَبَاتَا

وَكَـأَنَّ الـغَـارَ أَمْـسَى غَـيْرَ مَسْكُونٍ بَتَاتَـا

مِـنْ بَـعْـدِ ثَـلَاثَةِ أَيَّامْ خَـرَجَا بِـأَمَـانٍ وَسَلَامْ

نَاحِيَةَ السَّـاحِلِ حَتَّى لَاحَتْ عَنْ بُعْدٍ أَعْلَامْ

فَإِذَا مِنْ طَيْبَـةَ ظَهَرَتْ وَرَفَعَهَا أَهْلُ الإِسْـلَامْ

وَبَدَا الهَادِي كَشُمُـوسٍ وَبِوَجْـهٍ بَـاهٍ بَسَّـام

رَحّـبُـوا جَـمْـعًـا بِطَهَ أَحْـمَدٍ زَاكِي الطِّبَاعْ

وَلِسَـانُ الحَـالِ أَنْشَدْ فَرْحَـةً بِـالاجْـتِمَاعْ

طَـلَـعَ الـبَـدْرُ عَـلَـيْنَا مِـنْ ثَـنِـيَّـاتِ الـوَدَاعِ

وَجَــبَ الشُّــكْرُ عَلَيْنَا مَـــا دَعَـــا للهِ دَاعِ
أَيُّـــهَـا الـمَبْعُوثُ فِينَا جِـئْـتَ بِالأَمْرِ الـمُطَاعِ
جِئْتَ شَرَّفْتَ الـمَدِينَـةْ مَـرْحَـبًـا يَـا خَـيْرَ دَاعِ

ـ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ يَا رَبِّ أَعْنِهِ:

وَقَد زادَ نَفْسِـي وَاطْمَأَنَّتْ وَءَامَنَتْ بِهِ اليَومَ مَا لاقَى جَوَادُ ابن مُدلِجِ
سُراقَةَ إِذ يَبْغِي عَلَيْنَا بِكَيْدِهِ عَلى أَعْوَجِيٍّ كَالهِرَاوَةِ مُدْمَجِ
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ يَا رَبِّ أَعْنِهِ فَمَهْمَا تَشَأْ مِنْ مُفْظَعِ الأَمرِ تَفْرِجِ
فَسَاخَتْ بِهِ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَغَيَّبَتْ حَوَافِرُهُ فِي بَطْنِ وَادٍ مُفَجَّجِ
فَأَعْنَاهُ رَبُّ العَرْشِ عَنَّا وَرَدَّهُ وَلَوْلَا دِفَاعُ اللهِ لَمْ يَتَعَرَّجِ

ـ إِذا تَذَكَّرتَ شَجْوًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ:

إِذا تَذَكَّرتَ شَجْوًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ فَاذكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا
خَيْرَ البَرِيَّةِ أَتْقَاهَا وَأَعْدَلَهَا إِلَّا النَّبِيَّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا
وَالثَّانِيَ الصَّادِقَ المَحْمُودَ مَشْهَدُهُ وَأَوَّلَ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَّقَ الرُّسُلَا

وَثانِيَ اِثنَيْنِ فِي الغَارِ المُنِيفِ وَقَدْ طَافَ العَدُوُّ بِهِ إِذْ صَعَّدَ الجَبَلَا
عَاشَ حَمِيدًا لِأَمْرِ اللهِ مُتَّبِعًا بِهَدْيِ صَاحِبِهِ الـمَاضِي وَمَا انْتَقَلَا
قد كَانَ حِبَّ رَسُولِ اللهِ قَدْ عَلِمُوا مِنَ البَرِيَّةِ لَمْ يَعْدِل بِهِ رَجُلَا

ـ يا حَبَّذَا النَّبِيُّ الهَادِي:

يَا عَذُولَيَّ قَصِّـرَا العَذْلَ عَنِّي خَلِّيَانِي أَمْدَحْ خِيَارَ العِبَادِ
أَحْمَدَ الـمُصْطَفَى خِيَارَ البَرَايَا وَشَفِيعَ الأَنَامِ يَوْمَ التَّنَادِي
مَكَرَ الكَافِرُونَ مَكْرًا فِي مَنْزِلِ النَّدْوِ مَنْزِلِ الإِفْسَادِ
عَزَمُوا قَتْلَةَ النَّبِيِّ بَرْأَيٍ قَدْ رَءَاهُ عَمْرٌو حَلِيفُ العِنَادِ
ثُمَّ نَجَّاهُ مَالِكُ الـمُلْكِ مِنْهُمْ حِينَ ءَابُوا بِخَيْبَةٍ وَرَمَادِ
فَهَدَاهُ رَبُّ العِبَادِ إِلَى الهِجـ ـرَةِ مَعْ صَاحِبٍ كَرِيمِ الأَيَادِي
فَأَقَامَا فِي غارِهِمْ ثَانِيَ اثْنَيْـ ـنِ إِلَى فُرْصَةٍ تُهِينُ الأَعَادِي
طَلَبَتْهُ الكُفَّارُ بَغْيًا بِرُوَّا دٍ فَضَلَّتْ بَصَائِرُ الرُّوَّادِ
ثُمَّ سَارا بِعَوْنِ رَبِّ البَرَايَا قَاصِدَيْ يَثْرِبٍ خِيَارَ البِلَادِ

نَصَرَتـْهُمْ رِجَالُ يَثْرِبَ بِالـمَا لِ وَبِالسُّمْرِ وَالسُّيُوفِ الحِدَادِ
ثُمَّ طَابَتْ بِقُرْبِهِ طَيْبَةُ الخَيْـ ـرِ فَيَا حَبَّذَا النَّبِيُّ الهَادِي

ـ لِدَعْوَةِ الدِّينِ لَمْ يَفْتُرْ وَلَمْ يَجِمْ:

وَلَمْ يَزَل سَيِّدُ الكَونَينِ مُنتَصِبًا لِدَعْوَةِ الدِّينِ لَمْ يَفْتُرْ وَلَمْ يَجِمِ
يَسْتَقْبِلُ النّاسَ في بَدوٍ وَفي حَضَـرٍ وَيَنْشُـرُ الـدِّينَ فِي سَهْلٍ وَفِي عَلَمِ
حَتَّى اسْتَجَابَتْ لَهُ الأَنْصَارُ وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِهِ عَنْ تَرَاضٍ خَيْرَ مُعْتَصَمِ
فَاسْتَكْمَلَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا نَضَارَتَهَا وَأَصْبَحَ الدِّينُ فِي جَمْعٍ بِهِمْ تَمَمِ
قَوْمٌ أَقَرُّوا عِمَادَ الحَقِّ وَاصْطَلَمُوا بِبَأسِهِمْ كُلَّ جَبَّارٍ وَمُصْطَلِمِ
فَكَمْ بِهِمْ أَشْرَقَتْ أَسْتَارُ دَاجِيَةٍ وَكَمْ بِهِمْ خَمَدَتْ أَنْفَاسُ مُخْتَصِمِ
فَحِينَ وَافَى قُرَيْشًا ذِكْرُ بَيْعَتِهِمْ ثَارُوا إِلَى الشَّـرِّ فِعْلَ الجَاهِلِ العَرِمِ
وَبَادَهُوا أَهْلَ دِينِ اللهِ وَاهْتَضَمُوا حُقُوقَهُمْ بِالتَّمَادِي شَرَّ مُهْتَضَمِ
فَكَمْ تَرَى مِنْ أَسِيرٍ لَا حِرَاكَ بِهِ وَشَارِدٍ سَارَ مِنْ فَجٍّ إِلَى أَكَمِ
فَهَاجَرَ الصَّحْبُ إِذْ قَالَ الرَّسُولُ لَهُمْ سِيرُوا إِلَى طَيْبَةَ المَرْعِيَّةِ الحُرَمِ

وَظَلَّ فِي مَكَّةَ الْمُخْتَارُ مُنْتَظِرًا إِذْنًا مِنَ اللهِ فِي سَيْرٍ وَمُعْتَزَمِ
فَأَوْجَسَتْ خِيفَةً مِنْهُ قُرَيْشُ وَلَمْ تَقْبَلْ نَصِيحًا وَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى فَهَمِ
فَاسْتَجْمَعَتْ عُصَبًا فِي دَارِ نَدْوَتِهَا تَبْغِي بِهِ الشَّرَّ مِنْ حِقْدٍ وَمِنْ أَضَمِ
وَلَوْ دَرَتْ أَنَّهَا فِيمَا تُحَاوِلُهُ مَخْذُولَةٌ لَمْ تَسُمْ فِي مَرْتَعٍ وَخِمِ
أَوْلَى لَهَا ثُمَّ أَوْلَى أَنْ يَحِيقَ بِهَا مَا أَضْمَرَتْهُ مِنَ البَأْسَاءِ وَالشَّجَمِ
إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ قَوْمٍ أُولِي فِطَنٍ بَاعُوا النُّهَى بِالعَمَى وَالسَّمَعَ بِالصَّمَمِ
يَعصُونَ خَالِقَهُمْ جَهْلًا بِقُدْرَتِهِ وَيَعكِفُونَ عَلَى الطَّاغُوتِ وَالصَّنَمِ
فَأَجمَعُوا أَمْرَهُم أَنْ يَبْغَتُوهُ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَخَفَّتْ وَطْأَةُ القَدَمِ
وَأَقْبَلُوا مَوهِنًا فِي عُصْبَةٍ غُدُرٍ مِنَ القَبَائِلِ بَاعُوا النَّفْسَ بِالزَّعَمِ
فَجَاءَ جِبْرِيلُ لِلْهَادِي فَأَنْبَأَهُ بِمَا أَسَرُّوهُ بَعْدَ العَهْدِ وَالقَسَمِ
فَمُذْ رَءَاهُمْ قِيَامًا حَوْلَ مَأْمَنِهِ يَبْغُونَ سَاحَتَهُ بِالشَّـرِّ وَالفَقَمِ
نَادَى عَلِيًّا فَأَوْصَاهُ وَقَالَ لَهُ لَا تَخْشَ وَالبَسْ رِدَائِي ءَامِنًا وَنَمِ
وَمَرَّ بِالقَوْمِ يَتلُوُ وَهْوَ مُنصَـرِفٌ يَسِ وَهْيَ شِفَاءُ النَّفْسِ مِنْ وَصَمِ
فَلَمْ يَرَوْهُ وَزَاغَتْ عَنْهُ أَعْيُنُهُمْ وَهَلْ تَرَى الشَّمْسَ جَهْرًا أَعْيُنُ الحَنَمِ

وَجَاءَهُ الوَحْيُ إِيذَانًا بِهِجْرَتِهِ فَيَمَّمَ الغَارَ بِالصِّدِّيقِ فِي الغَسَمِ

فَمَا اسْتَقَرَّ بِهِ حَتَّى تَبَوَّأَهُ مِنَ الحَمَائِمِ زَوْجٌ بَارِعُ الرَّنَمِ

بَنَى بِهِ عُشَّهُ وَاحْتَلَّهُ سَكَنًا يَأْوِي إِلَيْهِ غَدَاةَ الرِّيحِ وَالرّهَمِ

إِلْفَانِ مَا جَمَعَ المِقْدَارُ بَيْنَهُمَا إِلَّا لِسِرٍّ بِصَدْرِ الغَارِ مُكْتَتَمِ

كِلَاهُمَا دَيْدَبَانٌ فَوْقَ مَرْبَأَةٍ يَرْعَى الْمَسَالِكَ مِنْ بُعْدٍ وَلَمْ يَنَمِ

إِنْ حَنَّ هَذَا غَرَامًا أَوْ دَعَا طَرَبًا بِاسْمِ الهَدِيلِ أَجَابَتْ تِلْكَ بِالنَّغَمِ

يَخَالُهَا مَنْ يَرَاها وَهْيَ جَاثِمَةٌ فِي وَكْرِهَا كُرَةً مَلْسَاءَ مِنْ أَدَمِ

إِنْ رَفرَفَت سَكَنَت ظِلًّا وَإِن هَبَطَتْ رَوَتْ غَلِيلَ الصَّدَى مِنْ حائِرٍ شَبِمِ

وَسَجَّفَ العَنْكَبُوتُ الغَارَ مُحْتَفِيًا بِخَيمَةٍ حَاكَهَا مِنْ أَبدَعِ الخِيَمِ

قَدْ شَدَّ أَطْنَابَهَا فَاسْتَحْكَمَتْ وَرَسَتْ بِالأَرْضِ لَكِنَّهَا قَامَتْ بِلَا دِعَمِ

وَارَتْ فَمَ الغَارِ عَنْ عَيْنٍ تُلِمُّ بِهِ فَصَارَ يَحْكِي خَفَاءً وَجْهَ مُلْتَثِمِ

فَيَا لَهُ مِنْ سِتَارٍ دُونَهُ قَمَرٌ يَجْلُو البَصَائِرَ مِنْ ظُلْمٍ وَمِنْ ظُلَمِ

فَظَلَّ فِيهِ رَسُولُ اللهِ مُعْتَكِفًا كَالدُّرِّ فِي البَحْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ فِي الغُسَمِ

حَتَّى إِذَا سَكَنَ الإِرْجَاف وَاحْتَرَقَتْ أَكْبَادُ قَوْمٍ بِنَارِ اليَأْسِ وَالوَغَمِ

أَوْحَى الرَّسُولُ بِإِعْدَادِ الرَّحِيلِ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ السِّرُّ مِنْ خِلٍّ وَمِنْ حَشَمِ
وَسَارَ بَعْدَ ثَلَاثٍ مِنْ مَبَاءَتِهِ يَؤُمُّ طَيْبَةَ مَأْوَى كُلِّ مُعْتَصِمِ
فَحِينَ وَافَى قُدَيْدًا حَلَّ مَوْكِبُهُ بِأُمِّ مَعْبَدَ ذَاتِ الشَّاءِ وَالغَنَمِ
فَلَمْ تَجِدْ لِقِرَاهُ غَيْرَ ضَائِنَةٍ قَدِ اقْشَعَرَّتْ مَرَاعِيهَا فَلَمْ تَسُمِ
فَمَا أَمَرَّ عَلَيْهَا دَاعِيًا يَدَهُ حَتَّى اسْتَهَلَّتْ بِذِي شَخبينِ كَالدِّيَمِ
ثُمَّ استَقَلَّ وَأَبْقَى فِي الزَّمَانِ لَهَا ذِكْرًا يَسِيرُ عَلَى الآفَاقِ كَالنَّسَمِ
فَبَيْنَمَا هُوَ يَطْوِي البِيدَ أَدْرَكَهُ رَكْضًا سُرَاقَةُ مِثْلَ القَشْعَمِ الضَّـرِمِ
حَتَّى إِذَا مَا دَنَا سَاخَ الجَوَادُ بِهِ فِي بُرْقَةٍ فَهَوَى لِلسَّاقِ وَالقَدَمِ
فَصَاحَ مُبتَهِلًا يَرجُو الأَمَانَ وَلَوْ مَضَـى عَلَى عَزْمِهِ لَانْهَارَ فِي رَجَمِ
وَكَيْفَ يَبْلُغُ أَمْرًا دُونَهُ وَزَرٌ مِنَ العِنَايَةِ لَمْ يَبْلُغْهُ ذُو نَسَمِ
فَكَفَّ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ وَهْوَ بِهِ أَدْرَى وَكَمْ نِقَمٍ تَفْتَرُّ عَنْ نِعَمِ
وَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا حَتَّى أَنَافَ عَلَى أَعْلَامِ طَيْبَةَ ذَاتِ الْمَنظَرِ العَمَمِ
أَعْظِمْ بِمَقدَمِهِ فَخْرًا وَمَنْقَبَةً لِمَعْشَرِ الأَوْسِ وَالأَحْيَاءِ مِنْ جُشَمِ
فَخْرٌ يَدُومُ لَهُمْ فَضْلٌ بِذِكْرَتِهِ مَا سَارَتِ العِيسُ بِالزُّوَّارِ لِلْحَرَمِ

يَوْمٌ بِهِ أَرَّخَ الإِسْلَامُ غُرَّتَهُ وَأَدْرَكَ الدِّينُ فِيهِ ذِرْوَةَ النُّجُمِ

ـ فَهْو بَعْدَ الرَّسُولِ أَكْرَمُ دَاعٍ:

لِأَبِي بَكْرٍ الَّذي طَابَ ذِكْرًا رُتْبَةٌ قَدْ عَلَتْ على الأَفْكَارِ
أَيَّدَ الدِّينَ بَعْدَ طَهَ وَأَعْلَى مَذْهَبَ الإِتِّبَاعِ لِلْمُخْتَارِ
فَهْو بَعْدَ الرَّسُولِ أَكْرَمُ دَاعٍ بِثَبَاتٍ إِلَى رِضَاءِ البَارِي
رَفَعَتْ قَدْرَهُ العِنَايَةُ حَتَّى زَيَّنَتْهُ بِأَجْمَلِ الآثَارِ
وَلَهُ أَنْزَلَ الإِلَهُ امتِدَاحًا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ
فَهُوَ صِدِّيقُ أَحْمَدٍ وَخَلِيلٌ وَرَفِيقٌ لَهُ بِلَا إِنْكَارِ
وَبِهِ فِي الدُّنَا وَفِي الحَشْرِ أُحْمَى مِنْ زَمَانِي وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ
فَعَلَيْهِ الرِّضْوَانُ فِي كُلِّ ءَانٍ وَزَمَانٍ يهمي لِيَوْمِ القَرَارِ
مَا جَرَى ذِكْرُهُ الشَّرِيفُ بِقَلْبِي بِانْخِلَاعٍ عَنْ مَذْهَبِ الأَغْيَارِ
وَعَلَى سَيِّدِي أَبِي حَفْصٍ الفَا رُوقِ وَالمنْتَقَى شَهِيدِ الدَّارِ
وَعَلَى مظْهَرِ الجَلَالِ عَلِيٍّ صِنو طَهَ وَصِهْرِهِ الكَرَّارِ

وَعَلَى جُمْلَةِ القَرَابَةِ وَالآ لِ وَصَحْبٍ أَمَاجِدٍ أَخْيَارِ

ـ مَنْ شَدَّ بِالتَّصْدِيقِ أَزْرَ مُحَمَّدٍ:

مَنْ شَدَّ بِالتَّصْدِيقِ أَزْرَ مُحَمَّدٍ وَاسْتَقْرَبَ النَّبَأَ الَّذِي يُسْتَبْعَدُ

مَنْ فَكَّ أَعْنَاقًا تُغَلَّلُ خَشْيَةً لَا نِعْمَةٌ تُجْزَى لَهُنَّ وَلَا يَدُ

مَنْ رَاشَ نَاهِضَةَ الرَّسُولِ بِمَالِهِ وَحَنَا عَلَيْهِ يَذُبُّ عَنْهُ وَيُسْعِدُ

أَعْطَى وَءاثَرَ بِالْكَثِيرِ زَمَانَ لا مُعْطٍ يَجُودُ وَلَا قَلِيلٌ يُوجَدُ

سَلْ مُحْكَمَ التَّنْزِيلِ أَعْدَلَ شَاهِدٍ عَنْهُ وَعَنْ أَيَّامِهِ فَسَيَشْهَدُ

وَصَلت يَدَاه جَنَاحَ أَحْمَدَ إِذَا غَدَا مِنْ قَوْمِهِ حَرِدًا لِيَثْرِبَ يَقْصِدُ

ءاسَاهُ فَهْوَ رَفِيقُهُ وَكَفَاهُ فَهْـ ـوَ مُعِينُهُ وَهَدَاه فَهْوَ الـمُرْشِدُ

وَأَنِيسُهُ فِي الغَارِ وَالفَادِي لَهُ بِالنَّفْسِ حِينَ يَجُوسُهُ وَيُمَهِّدُ

وَأَخُوهُ فِي الإِسْلَام إِذْ لَمْ يَتَّخِذْ خِلًّا وَصَاحِبُهُ الأَوَدُّ الأَوْكَدُ

وَإِلَيْهِ أَفْضَى بِالخِلَافَةِ بَعْدَهُ فَمَضَى وَقَلَّدَهُ الَّذِي يَتَقَلَّدُ

فَمَشَى عَلَى ءاثَارِهِ مُتَتَبِّعًا لَا قَاصِرٌ عَنْهَا وَلَا مُتَزَيِّدُ

وَشَفَى صُدُورَ الْمُؤْمِنِينَ بِخُطبَةٍ جَلَتِ الشُّكُوكَ فَنِعْمَ ذَاكَ المَشْهَدُ
وَبِهَدْيِهِ كُفِيَ الجَمَاعَةُ فِتْنَةً كَادَتْ تُفَرِّقُ جَمْعَهُمْ وَتُبَدِّدُ
يَوْمَ السَّقِيفَةِ إِذْ تَنَازَعَ أَهْلُهَا فَأَتَى فَأَطْفَأَ نَارَ شَرٍّ تُوقَدُ
قَرَعَ الْمَسَامِعَ وَالقُلُوبَ بِمَنْطِقٍ لَوْ كَانَ يَعْقِلُهُ لذَابَ الجَلْمَدُ
فَأَقَرَّ نَافِرَةَ القُلُوبِ فَأَصْبَحُوا رَاضِينَ يَجْمَعَهُمْ جَمِيعًا مَسْجِدُ

ـ وَمَضَى النبيُّ إلى المَدِينةِ:

خَرَجَ النَّبِيُّ الهَاشِمِيُّ مُهَاجِرًا فِيهِ عَلَى حَذَرٍ مِنَ الكُفَّارِ
وَبِجَنْبِهِ الصِّدِّيقُ مِلْءُ فُؤَادِهِ حُبُّ النَّبِيِّ وَخَشْيَةُ الجَبَّارِ
وَهَبَ النَّبِيُّ حَيَاتَهُ وَحَمَاهُ مِنْ بَطْشِ الطُّغَاةِ وَعُصْبَةِ الفُجَّارِ
حَتَّى إِذَا بَلَغَ النَّكَالُ حُدُودَهُ بِالـمُصْطَفَى وَصِحَابُهُ الأَطْهَارِ
تَرَكُوا الدِّيَارَ مُهَاجِرِينَ بِدِينِهِمْ مُسْتَبْدِلِينَ دِيَارَهُمْ بِدِيَارِ
وَأَمَامَهُمْ خَيْرُ الأَنَامِ وَخِلُّهُ مُتَعَاطِفَينِ عَلَى أَحَبِّ جِوارِ
حَتَّى إِذَا أَمِنَا الـمَكَائِدَ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُ أَحْمَدَ فِي حَنَايَا الغَارِ
أَوَيَا إِلَى الغَارِ الكَرِيمِ فَعَشْعَشَتْ فَوْقَ الـمَغَارِ هَوَاتِفُ الأَسْحَارِ

وَالعَنْكَبُوتُ بَنَى مَعَالِمَ بَيْتِهِ قَدْرًا مِنَ الـمُتَصَرِّفِ القَهَّارِ
يَشْكُو أَبُو بَكْرٍ إِلَى الـمُخْتَارِ مَا يَلْقَى فَذَكَّرَهُ بِلُطْفِ البَارِي
وَيَقُولُ وَالتَّارِيخُ يُنْصِتُ خَاشِعًا قَوْلًا يُخَلَّدُ فِي فَمِ الأَدْهَارِ
اللهُ ثَالِثُنَا فَلَا تَحْزَنْ وَمَنْ يَنْصُـرْهُ يَأْمَنْ مِنْ أَذًى وَضِرَارِ
حَتَّى إِذَا يَئِسَتْ قُرَيْشُ وأُحْبِطَتْ رجعتْ رُجُوعَ مُسَـرْبَلٍ بِخسارِ
ومضـى النبيّ إلى المدينة شاهرًا سيف الهدى وصحائف الأنوارِ

ـ مُعجزَاتُهُ:

لَقَد أَجمَعَت أَعيانُ فِهر لِقَتلِهِ وَأَحكَمَ في إِمضائِهِ بَينَهُم عَقدُ
فَمَرَّ بِهِم جَمعًا فَغَضُّوا عُيونَهُم وَأَذقانَهُم في كُلِّ صَدرٍ لَهُم شَدوا
كَفى الغارَ نَسجُ العَنكَبوتِ وِقايَةً مِنَ اللهِ وَالأَقوامُ في قَبضِهِ جَدوا
وَكَفّ عَن التَّطلاب مُهرُ سِراقةٍ وَذلِكَ لَمَّا عاقَهُ الحَجَرُ الصَّلْدُ
وَمَسَّح ضَرعَ الشاةِ مِن أُم مَعبَدٍ فَدَرَّتْ وَأَروَتْ بَعدَما كادَها الجَهدُ

لَهُ راحَة بِالجودِ يَهمي غمامُها وَلَم يَكُ لِلملهوفِ عَن وِردِها صَدُّ
وَفيها لَدى البَأساءِ لِلبائِسِ الغِنى وَفيها صُنوفُ اليُمنِ يُغنى بِهِ الوَفدُ
وَفيها الحَصا وَالزادُ سَبَّحَ جَهرَةً وَمِنها ثِمارُ الغَرسِ مِن عامِها تَبدو
بِأَسْرَارِهَا تُنْبِيكَ عَينُ قَتادَةٍ وَقَد رَدَّها مِن بَعدِ ما مَسَّها الخَدُّ
وَمَسَّ بِها رَأسَ الأَقيَرَع فَاغتَدى عَلى حَسنِهِ يَزهو بِهِ الشَّعَرُ الجَعْدُ
جَرى الماء مِن بَينِ الأَصابِعِ فَارتَوى مِراراً بِهِ جَيش وَقَد عَذب الوِردُ
وَكَم فازَ راجٍ بِالْمُنى مِن دُعائِهِ وَأَحيا قُلوبًا عَنهُ أَمرَضَها الحِقدُ

ـ سَدَلَ الإلهُ عليهما أسْتَارَا:

ومِنَ العجائب ءايةُ الغار التي صَحَّتْ فَأنْجَدَ ذِكْرُها وأغارَا
لَمّا فشا أمرُ الرسولِ بمكّةٍ وتكرّرتْ أخبارُه تَكْرَارَا
وبَدتْ علاماتُ الشَّتاتِ بأُفْقِها ورأتْ قُريشٌ للحروبِ بِحارَا
عَزَمَتْ على الشُّورى معًا في أمرِهِ واستكثرتْ تَردادَها استكثارَا
وأتاهُ جبريلُ الأمينُ مُعَرِّفًا بجميع ما قد أضْمَرتْ إضْمارَا

حتّى انتهَتْ للغارِ ضَلَّ دليلُها فرأى الرّجوعَ ولم يؤُمَّ الغارَا
عَمِيَتْ بَصِيرَتُه فلمْ يُبصِـرْ بها أحدًا بداخِلِهِ حوى اسْتقرارَا
ومحمَّدٌ فيه مع الصِّدّيقِ قَدْ سَدَلَ الإلهُ عليهما أسْتَارَا
وسُراقَةٌ إذْ أمَّهُ بجوادِهِ لِخروجِهِ عن قومِهِ إسْرارًا
غَرِقَتْ قوائِمُهُ عِقابًا في الثَّرى فرأى الرّجوعَ ولو أباهُ لَبَارَا

ـ فَسُرَّتِ الأَنصارُ بِالـمُهاجِرَة:

أَتاهُمُ الْمُنتَجَبُ الأَواهُ مُحَمَّدٌ صَلّى عَلَيهِ اللهُ
أَكرَمُ خَلقِ اللهِ طُرًّا نَفْسا وَمَولِدًا وَمَحتِدًا وَجِنْسا
يَغشـى لَهُ بِالشَـرفِ الأَشرافُ لا مِريَةٌ فيهِ وَلا خِلافُ
أَقامَ في مَكَّتِهِ سِنينا حَتّى إِذا استَكمَلَ أَربَعينا
أَرسَلَهُ اللهُ إِلى العِبادِ أَشرِفْ بِهِ مِن مُنذِرٍ وَهادِ
فَظَلَّ يَدعوهُم ثَلاثَ عَشـرَهْ بِمَكَّةٍ قَبلَ حُضورِ الهِجرَهْ
ثُمَّ أَتى مَحَلَّةَ الأَنصارِ في عُصبَةٍ مِن قَومِهِ خِيارِ

أَوَّلُهُم صاحِبُهُ في الغارِ أَفضَلُ تِلكَ العُصبَةِ الأَبرارِ
صِدّيقُها الصادِقُ في مَقالِهِ الْمُحسِنُ الْمُجمِلُ في أَفعالِهِ
فَسُـرَّتِ الأَنصارُ بِالـمُهاجِرَةْ وكُلُّهُم يُؤثِرُ دارَ الآخِرَةْ

ـ مُحَمَّدٌ الماحي بِأَنوار هَديهِ:

مُحَمَّدٌ الماحي بِأَنوار هَديهِ ظَلامَ ضلالٍ مُسدِلِ الذَيل مسهبُ
وَلَمّا عَلَيهِ اشتَدَّ إِيذاءُ قَومِهِ رَأى أَنّ بُعْدَ الدار أَحرى وَأَصوبُ
فَهاجر مِنها وَهْوَ بِاللهِ واثِقٌ وَلَم يُخرجوه خائِفًا يَتَرَقّبُ
وَصاحَبَهُ الصدّيقُ يا خَير صاحِبٍ لأَشرَفِ مَصحوب بِهِ الأَرض ترحبُ
وَفي الغار نَسجُ العَنكَبوت وَقاهُما عُيون العِدى لَمّا اقتَفوه وَنَقّبوا
أَتوا غار ثَور وَالحَمائمُ حُوَّمٌ عَلَيهِ فَقالوا لَيسَ في الغار مَطلَبُ
وَغاصَت عَلى ءاثاره بسُـراقة مِن الخَيل في الغَبراء جَرداءُ سَلهَبُ
كَم هَتفت يَومًا بِأَوصاف أَحمَد وَهَواتف ما أَربى عَلَيهنّ مطربُ
وَغَنّى بِمَدح الْمُصطَفى خَير مَن وَفى مِن الجنّ من أَبياته الإِنس تطربُ

وَمَسّت يَداهُ ضرعَ شاة أُمِّ معبدٍ فَأَثرت وَدرَّت وَهوَ يَسقي وَيَحلبُ
فَكَم راحة لِلناس مِنهُ بِراحَةٍ بِها لِلظما وَالجوع زادٌ وَمَشـرَبُ

ـ صِدّيقُ أَحمَدَ صاحِبُ الغارِ:

صِدّيقُ أَحمَدَ صاحِبُ الغارِ الَّذي هُوَ في الْمَغارَةِ وَالنَبيُّ اثنانِ
أَعني أَبا بَكـرِ الَّذي لَم يَختَلِف مِن شَرعِنا في فَضلِهِ رَجُلانِ
هُوَ شَيخُ أَصحابِ النَبيّ وَخَيرُهُم وإِمامُهُم حَقًّا بِلا بُطلانِ
وَأَبو الْمُطَهَّرَةِ الَّتي تَنزيهُها قَد جاءَنا في النورِ وَالفُرقانِ
أكرِم بِعائِشَةَ الرِضى مِن حُرَّةٍ بِكـرٍ مُطَهَّرَةِ الإِزَارِ حَصَانِ

ـ وَصَدَقَ بالحقِّ المبِينِ:

وَمن كان مشغوفًا بحب محمدٍ وَحبِّ أَبي بكـر فَكَيفَ يعذبُ
سَلام عَلى الصديق إذ هو لَم يزل لخير البَرايا في الحياتَين يَصحبُ
فَثانيهِ في الغار الخَليفة بعدهُ لأمتِهِ نِعْمَ الحَبيب المقرَّبُ
أَجاب وَقَد صَمُّوا وأبصـر إذ عَمُوا وَصدق بالحق المبين وَكَذَّبُوا

ـ الهِجْرَةُ نُورٌ:

الـهِـــجْـــرَةُ نُـــــــورْ يَـــمْـــحُـــو الـــدَّيْجُورْ
وَالحَـقُّ هُـو الأَعْـــلَـى أَبَدًا وَهُـــوَ الـــمَـنْـــصُـــورْ
وَرَسُـــــولُ اللهِ بِـــهِـــجْرَتِهِ أَرْسَـــى بِالحَقِّ طَرِيقَ النُّورْ
وَالـغَـــارُ يَـــضُـــمُّ نَـــزِيلَيْهِ وَبَـــدَا لِلأَعْـيُنِ كَالـمَهْجُورْ
وَالشِّـرْكُ الغَارِقُ فِي الظُّلُمَاتِ هُـنَـــالِـكَ مَخْذُولٌ مَدْحُورْ
وَنَـبِـــيُّ الـــرَّحْـمَةِ مَحْفُوظٌ وَانْشَرَحَتْ بِاسْمِ اللهِ صُدُورْ
وَيُـــطَـــمْـــئِـــنُ صَاحِبَهُ ثِقَةً بِـاللهِ وَبِـالقَـــدَرِ الـمَقْدُورْ
فَـــرِحَ الأَنْـــصَـــارُ بِمَقْدمِهِ وَالـكَـوْنُ بِـهِجْرَتِهِ مَسْرُورْ
وَأَضَـــاءَتْ شُـــعْـلَتُهُ الآفَاقَ بِـــدِيـــنٍ وَكِـــتَابٍ مَسْطُورْ
وَأَنَـــارَتْ شِـــرْعَـــتُهُ الدُّنْيَا وَأَزَالَ جَـــهَـــالَاتٍ وَشُرُورْ
دِيـنُ الإِسْـــلَامِ مَدَى الأَيَّامِ أَسْـــنَى مِـــنْ شَمْسٍ وَبُدُورْ
وَحَضَـــارَتُهُ للنَّـاسِ هُـــدَى بِالـعِـلْمِ وَبِالعَمَلِ الـمَبْرُورْ

ـ الهِجْرَةُ ذِكْرَى نُحْيِيهَا:

الهِـجْـرَةُ ذِكْـرَى نُحْيِيهَا نَـتَـذَكَّرُ خَـيـرَ مَـعَانِيهَا
تَأْيِيدٌ لِرِسَـــالَةِ طَـــهَ فاللهُ تَعَـالَى حَـامِـيـهَا

ظَـهَـرَ الـمُخْتَارُ بِدَعْوَتِهِ وَأَتَى وَدَعَـا بِـرِسَـالَتِهِ
لَـكِـنَّ الـشَّـرَّ أَبَى إِلَّا كَسْـرَ الإِسْلَامِ وَشَوْكَتِهِ
وَانْـغَـاظَ الـكُفَّـارُ وَنَالُوا مِـنْ أَهْـلِ الحَـقِّ وَمِلَّتِهِ

فَالـمَوْلَى أَمَـرَ الـمُـخْتَارَا أَنْ يَـتْرُكَ مَـكَّـةَ وَيُهَاجِرْ
بِخُرُوجٍ مَا كَـانَ فِـرَارًا بَلْ نَفَّذَ مَا أَمَـرَ الـقَـادِرْ

خَرَجَ الـمُخْتَارُ وَصَاحِبُهُ صِـدِّيـقُ الحَقِّ أَبُو بَكْرِ
قَصَدَا غَارًا دَخَـلَا فِـيـهِ وَأَتَى الأَشْرَارُ أُولُو الكُفْرِ
لَمْ يَجِدُوا أَثَـرًا لِلـهَـادِي فَاللهُ حَمَـاهُ مِـنَ الشَّـرِّ
خَرَجَا حَتَّى وَصَـلَا أَرْضًـا ضَاءَتْ بِقُدُومِ الـمُخْتَـارِ

فَهي الـمَحْبُوبَةُ طَيْبَتُـنَـا فَاحَتْ بِشَذَاهُ الـمِـعْـطَارِ

خَاتِمة الكِتَاب

الحمدُ للَّه وكفى، وسلامٌ على عبادِهِ الذينَ اصطفى، الحمدُ للَّه الواحدِ الأحد الفرْدِ الصمد الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يتخذْ صاحبةً ولا ولدًا. لهُ الفضلُ ولهُ المِنَّة، لهُ الحمدُ على ما أنعم علينا، الحمدُ للَّه الذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنهتديَ لولا أنْ هدانا اللَّه. والصلاةُ والسلامُ على سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وقائدنا وقرَّةِ أعيننا محمَّد، بعثَهُ اللَّهُ رحمةً للعالمين مبشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى اللَّه بإذنهِ وسراجًا وهَّاجًا وقمرًا منيرًا، فهدَى اللَّهُ بهِ الأمَّةَ وكشَفَ بهِ عنها الغُمَّة فجزاهُ اللَّهُ عنا خيرَ ما جزى نبيًّا من أنبيائهِ.

لقد كانتِ الهجرةُ إيذانًا بأنَّ صوْلةَ الباطلِ مهما عظُمَتْ وقُوَّتَهُ مهما بلغَتْ فمصيرُها إلى الزَّوالِ ونِهايتُها إلى الفشَلِ والبَوارِ، وإيذانًا بأنَّ الحقَّ لا بدَّ لهُ من يومٍ تُحَطَّمُ فيهِ الأغلالُ وتعلو فيهِ رايتُهُ وتَرتفِعُ كلمتُهُ، وكيفَ لا واللَّهُ سبحانَهُ وتعالى قد وعدَ المؤمنينَ بالنَّصرِ المبينِ وجعلَ لهم من الشدةِ فرَجًا ومن العُسرِ يُسْرًا ومن الضيقِ سَعَةً؛ قالَ تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [سورة غافر].

إنَّ الدروسَ المستفادةَ من الهجرةِ كثيرةٌ، ومن جُمْلَتِها ضرورةُ

الصَّبرِ على الشدائِدِ والبلايا وكافةِ أنواعِ الظلمِ والاستبدادِ، والصمودُ في وجهِ الباطلِ، والثباتُ في ميدانِ الكفاحِ، والوقوفُ إلى جانبِ الحقّ في شجاعةٍ وحزْمٍ وصرامةٍ، وإنَّ بهجتنا بهذهِ الذكرى تمتزج بعزمنا على الاقتداء بصاحب الذكرى، والتمسك بهديه وعقيدته، والالتزام بشريعته، معلمين ومتعلمين، فهو القائل ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ ءَايَةً**». نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الموفَّقين للثبات حتى الممات على مَحَجَّةِ الإسلام البيضاء.

بيان أهمية علم التوحيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد طه الأمين وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضدَّ ولا ندَّ ولا زوجة ولا ولد له، ولا شبيه ولا مثيل له، ولا جسم ولا حجم ولا جسد ولا جثة له، ولا صورة ولا أعضاء ولا كيفية ولا كمية له، ولا أين ولا جهة ولا حيّز ولا مكان له، كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴿٧٤﴾﴾ [سورة النحل]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة النحل]، تنزّه ربي عن الجلوس والقعود، وعن الحركة والسكون، وعن الاتصال والانفصال، لا يحلّ فيه شيء، ولا ينحلّ منه شيء، ولا يحلّ هو في شيء لأنه ليس كمثله شيء، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر. وأشهد أنَّ حبيبنا وعظيمنا وقائدنا وقرة أعيننا محمدًا عبده ورسوله، ونبيه وصفيه وحبيبه وخليله ﷺ وعلى كلِّ رسول أرسله. الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا حبيب الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا عظيم الجاه، ضاقت حيلتنا

وأنت وسيلتنا، أدركنا وأغثنا وأنقذنا بإذن الله يا رسول الله، أما بعد عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله في السرِّ والعلن، ألا فاتقوه وخافوه، يقول الله عزَّ وجلَّ في القرءان الكريم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة ءال عمران]، ويقول الله عزَّ وجلَّ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [سورة الأنبياء]، وقال سبحانه وتعالى ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ١٦٣﴾ [سورة البقرة]، وقال تقدست أسماؤه ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ١٩﴾ [سورة محمد]. وقد بوَّب البخاري رحمه الله تعالى وعنوَنَ في صحيحه لهذه الآية فقال: باب العلم قبل القول والعمل، وفي هذه الآية قدَّم القرءانُ الأصلَ على الفرع، ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ١٩﴾ [سورة محمد]؛ فالإيمان والتوحيد أصل وأساس وهو الحصن الحصين والركن الركين الذي بدونه لا يقبل العمل الصالح، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الأعمال إيمانٌ بالله ورسوله**»، وهذه الأفضلية المطلقة، فأفضل الأعمال على الإطلاق الإيمان بالله ورسوله، فهو أفضل من الصلاة والصيام والزكاة والحج، وأفضل من قراءة القرءان والصدقات والذكر، وذلك لأنَّ الإيمان شرطٌ أساسٌ لا بد منه لقبول

الأعمال الصالحة، وقد قال ربنا في القرءان الكريم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴿٢٧٧﴾﴾ [سورة البقرة]، فالإيمان أولًا، وفي ءايةٍ أخرى قال ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴿٩﴾﴾ [سورة الإسراء]، وقال ﷺ: «**أفضل الأعمال إيمانٌ لا شكَّ فيه**»، فإذا دخل عليه الشكُّ أفسده وأبطله، فلا يعود ولا يبقى الإنسان مؤمنًا إن شكَّ في وجود الله تعالى أو في صدق الرسول ﷺ أو في حَقِّيَّة الإسلام، أو شكَّ في تنزيه الله، فهذا لا يكون من المسلمين، لذلك قال ربّنا في صفة المؤمنين ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الحجرات] أي لم يشكوا لأنَّ الإيمان إذا دخل عليه الشك أفسده؛ من هنا كان الواجب والفرض اللازم المؤكد الأول الإيمان بالله ورسوله، وهذا منهجٌ نبويٌّ وليس منهجًا مستحدثًا اليوم، وليس فكرةً ابتدعناها من عند أنفسنا وأخرجناها من جيوبنا، إنما هذا هو المنهج الذي جاء به محمد وعلَّمه ﷺ لصحابته وأمته.

وقد ثبتَ في الصحيح أنَّ أهل اليمن جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا له: «يا رسول الله، جئناك لنتفقه في الدين، فأنبئنا عن بدء هذا الأمر ما كان»، فكان سؤالهم عن أول المخلوقات، أي عن أول هذا العالم وجودًا، وهو سؤالٌ مهم، إلا أن رسول الله ﷺ أجابهم عما هو

أهم، أجابهم عن الْأَوْلَى فقال ﷺ: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**»، أي في الأزل لم يكن إلا الله، لا سماء ولا أرض ولا هواء ولا ماء ولا عرش ولا فرش، لا خلاء ولا ملاء، قال تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴿٣﴾﴾ [سورة الحديد]، فعلمهم الرسول ﷺ ذلك وأكده عليهم مع أنهم يعتقدونه لأنهم كانوا من المسلمين ويعرفون التنزيه، مع هذا علَّمَنا المنهج، سألوا عن مهم فأجابهم عن أهم. وقوله ﷺ: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**» يعني أن الله أزلي، أي أن الله لا مكان له فلا يسكن السماء ولا يجلس على العرش، ليس في جهةٍ واحدةٍ ولا في كل الجهات، فهو تعالى لا يحتاج إلى الأماكن أزلًا وأبدًا، هذا هو المنهج النبوي، وهذا تعليم الرسول ﷺ للأمة. ثم قال ﷺ: «**وكان عرشه على الماء**»، أي أنَّ الماء هو أول العالم حدوثًا ووجودًا، ثم بعد ذلك خُلِقَ العرشُ.

وانظر أخي القارئ إلى ما قاله حذيفة رضي الله عنه وأرضاه: «إنا قومٌ أوتينا الإيمان قبل أن نؤتى القرءان»، رواه البيهقي في السنن الكبرى وسعيد بن منصور في سننه. وقال سيدنا جندب بن عبد الله رضي الله عنه: «كنا غلمان حزاورة مع رسول الله فيعلمنا الإيمان قبل القرءان ثم يعلمنا القرءان فازددنا به إيمانًا»، رواه

البخاري في التاريخ الكبير وابن ماجه في سننه والبيهقي في السنن الكبرى والبوصيري في زوائد ابن ماجه وقال: «إسناده صحيح». هذا هو المنهج النبوي الصحيح.

ورُوي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: «كنا نتعلم التوحيد قبل أن نتعلم القرءان، وأنتم الآن تتعلمون القرءان ثم تتعلمون التوحيد»، وقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه هذا كان خطابًا للذين كانوا في زمانه، فكيف بكثير من أهل زماننا اليوم الذين أعرضوا عن تعلم علم التوحيد والعقيدة، وهذا هلاك كبير. وفي قوله رضي الله عنه «كنا» يشير إلى نفسه وإلى غيره من الصحابة، وفيه إشارةٌ إلى أن الصواب هو ما كانوا عليه، فهذا تأكيد منه رضي الله عنه على أهمية علم التوحيد.

وانظر رحمك الله إلى ما صنفه التابعي الجليل الإمام العظيم أبو حنيفة النعمان رضي عنه من رسائل في هذا العلم الشريف، فقد ألَّف في علم التوحيد خمس رسائلَ، وقال في كتابه الفقه الأبسط: «الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام»، يعني أن تتعلم أصول العقيدة أفضل من تعلم الأحكام الفرعية. وهذا الإمام أبو حنيفة بلغ درجة الاجتهاد المطلق، ثم إنه كان تلميذ الصحابة، وأخذ العلمَ

عن قريب المائة تابعي، فتأمل.

فهذا ما جاء في القرءان وما جاء في الحديث وما ورد عن الصحابة والتابعين. وقد سلك العلماء بعد التابعين مسلك من قبلهم، فانظر إلى ما جاء في كتاب «الفتاوى البزازية» أو الجامع الوجيز في مذهب أبي حنيفة للعلامة محمد بن محمد شهاب الدين يوسف الكردي البزازي الذي كان من علماء القرن التاسع الهجري، فقد قال رحمه الله: «تعليم صفة الخالق مولانا جلَّ جلاله للناس وبيان خصائص مذهب أهل السنة والجماعة من أهم الأمور، وعلى الذين تصدروا للوعظ أن يلقنوا الناس في مجالسهم وعلى منابرهم ذلك، هذا الأصل في المجالس وعلى المنابر، هذا الأصل». وانظروا إلى ما قاله الفقيه الشافعي أبو حامد الغزالي في كتابه قواعد العقائد بعد أن تكلم عن مبحث الصفات والعقيدة والتنزيه والتوحيد: «اعلم أنَّ ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم للصبي في أول نشأته ليحفظه حفظًا»، والصبي هو من كان دون البلوغ.

فأين الذين ينتقدون أهل الحق ويعترضون عليهم في تكرارهم لأمور العقيدة من هذا الكلام؟ عمَّ الجهل وطمَّ وانتشر الفساد، وصار أهل السنة والجماعة كاليتيم الذي لا كافل له، فتخيل

أخي القارئ يتيمًا لا كافلَ له كيف يكون حاله وأمره.

ومن مسائل علم العقيدة معرفة صفات الله تعالى الواجبة له إجماعًا وهي الصفات الثلاث عشرة التي لطالما تكرَّر ذكرها في مصنفات العلماء، ولما تكرَّر ذكرها في القرءان والحديث ونصوص العلماء قال العلماء: «يجب معرفتها وجوبًا عينيًّا» على كل مكلف، والوجوب في هذه المسألة هو معرفة معناها لا أن تُحفظ عين الألفاظ، وهذا سهل - أي اعتقاد المعنى - فهذا فرضٌ على كل مكلفٍ، وممن ذكر ذلك أبو حنيفة الذي هو من أئمة السلف وممن بعده السنوسي، وكذلك محمد الفضالي الشافعي وعبد المجيد الشرنوبي المالكي، وكذلك جمال الدين الخوارزمي، ومحيي الدين النووي في كتابه المقاصد، ومفتي لبنان الأسبق الشيخ عبد الباسط ابن علي الفاخوري في كتابه الكفاية لذوي العناية وغيرهم من العلماء.

وصفات الله الثلاث عشرة الواجبة له إجماعًا هي:

الوجود، فالله تعالى يستحيل عليه تعالى العدم، موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا جهة ولا مكان، ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [سورة إبراهيم]، أي لا شكَّ في وجوده سبحانه، ووجوده تعالى أزلي أبدي ليس كوجودنا الحادث،

فوجودنا بإيجاد الله لنا.

الوحدانية، أي أنَّ الله تعالى واحدٌ لا شريك له، فهو تعالى واحدٌ في ذاته وصفاته وفعله؛ قال عزَّ من قائل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص].

القيام بالنفس، أي أنه تعالى مستغنٍ عن كلِّ ما سواه، وكلُّ ما سواه محتاج إليه، فالعالم بما فيه لا يستغني عن الله طرفة عين، قال عزَّ وجلَّ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [سورة الإخلاص].

القِدَم، بكسر القاف وفتح الدال، أي الأزلية، أي أنَّ الله تعالى لا ابتداء لوجوده، فيستحيل عليه تعالى الحدوث؛ قال تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ ۝٣﴾ [سورة الحديد].

البقاء، أي أنَّ الله تعالى لا نهاية لوجوده، لا يفنى ولا يبيد ولا يهلك ولا يزول فيستحيل عليه الفناء، قال جلَّ جلاله ﴿وَٱلْآخِرُ ۝٣﴾ [سورة الحديد].

القدرة، وهي صفة أزليةٌ أبدية يؤثر الله بها في الممكنات، فيستحيل عليه تعالى العجز، قال تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥﴾ [سورة الكهف].

الإرادة، أي المشيئة، وهي تخصيص الممكن العقلي ببعض ما

يجوز عليه دون بعض وبصفةٍ دون أخرى، فيستحيل حصول شيء خلاف مشيئته تعالى، قال الله عزَّ وجلَّ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة التكوير].

السمع، فالله تعالى يسمع كلَّ المسموعات بدون أذن ولا ءالةٍ أخرى، فيستحيل عليه تعالى الصمم، قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى].

البصر، فالله تعالى يرى جميع المرئيات بدون حدقةٍ ولا ءالةٍ أخرى، فيستحيل عليه تعالى العمى، قال تعالى ﴿ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى].

الكلام، أي أنَّ الله متكلم بكلام ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، وما نجده في القرءان من ألفاظٍ عربيةٍ إنما هو عبارةٌ عن كلام الله الذاتي الأزلي وليس عين الصفة القائمة بذاته الكريم، قال تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة النساء].

الحياة، فالله تعالى حيٌّ يستحيل عليه تعالى الموت، وحياته ليست بروح ودم وعصب، قال تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴿٢٥٥﴾﴾ [سورة البقرة].

العلم، أي أنَّ الله تعالى عالمٌ بكل شيء، فهو تعالى يعلم الممكن ممكنًا والمستحيل مستحيلًا والواجب واجبًا، فيستحيل

عليه تعالى الجهل، قال عزَّ من قائل ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [سورة الحديد]. وعلمه تعالى أزليٌّ أبدي لا يزيد ولا ينقص ولا يتجدد.

المخالفة للحوادث، أي أنَّ الله تعالى لا يشبه شيئًا من مخلوقاته ولا بأي وجهٍ من الوجوه، ولا بأيِّ صفةٍ من الصفات، يقول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۝١١﴾ [سورة الشورى]. وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر».

هذه عقيدة كل المسلمين، عقيدة جميع الأنبياء والرسل، عقيدة الصحابة وءال البيت، وعقيدة السلف والخلف، وعقيدة أكابر الصوفية، فمن شكَّ أو توقَّف أو أنكر صفةً من صفات الله فهو كافرٌ بالله تعالى كما ذكر ذلك أبو حنيفة رضي الله عنه، وقال سيدنا عليٌّ رضي الله عنه: «من زعم أنَّ إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود»، ومن جهل الله كان كافرًا به. وقد قال سيدنا علي ابن إسماعيل أبو الحسن الأشعري: «الجهل بالله كفر به»، فالذي ينسب لله الحدَّ صغيرًا كان أم كبيرًا أو ينسب لله الكمية أو الجسم أو الشكل أو الصورة أو الهيئة ليس مسلمًا. وقد نقل الإمام عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي أبو منصور في كتابه تفسير

الأسماء والصفات الإجماع على كفر المجسمة وعلى كفر القدرية الذين يكذبون بالقدر.

وبعد كلِّ ما نقلناه من ءاياتٍ قرءانية وأحاديث نبويةٍ وأقوالٍ للعلماء كيف يسعنا السكوت عن تعليم الناس أمور دينهم أو أن نقصِّر في نشر علم التوحيد والتنزيه الذي هو الأصل والأساس.

وأختم بما قاله الرازي في كتابه مناقب الشافعي، قال رحمه الله: «من أنكر وذمَّ وأبغض علم الكلام ـ يعني أصول العقيدة ـ فهو كافر»، وهذا نصٌّ صريحٌ من الإمام الرازي في تكفيره، بل وزاد قائلًا: «كافر لا يعرفُ اللهَ ولا يعرف الرسولَ ولا اليوم الآخر، وهو على دين ءازر» أي مشرك بالله، فهاك ما قاله الرازي فيمن يذم علم التوحيد علم العقيدة والتنزيه، فلا تلتفتوا إلى الغوغاء المُرْجِفين الذين يهولون الأمر ويقولون: «لا تتكلموا في التوحيد، لا تتكلموا في العقيدة، العلماء ذموا علم الكلام»، قولوا لهم: كذبتم، العلماء ذموا المعتزلة والمجسمة والقدرية والمرجئة وأهل الأهواء، أما علم التوحيد فقد قال فيه الشافعي: «أحكمنا ذلك قبل هذا»، أي أتقنّا علم التوحيد قبل علم الفقه والفروع. هذا الشافعي وهذا أبو حنيفة وهذا حذيفة وهذا جندب وهذا عبد الله بن عمر وهذه الأحاديث

وهذا الإجماع الذي نقله العلماء على أهمية تعلم علمِ العقيدةِ علمِ الكلام الذي اشتغل به علماء أهل السنة والجماعة، فماذا يريد المعارضون بعد ذلك؟

تمكنوا في علم التوحيد، تمكنوا في علم العقيدة، فإنَّ من لم يعرف التنزيه والتوحيد لم يعرف الله، ومن لم يعرف الله ليس من المسلمين، ومن لم يكن مسلمًا لا تصحُّ منه صلاة ولا صيام ولا حج، ومن مات على غير الإسلام فإنه يخلد في النار، اللّٰهُمَّ إنّا نسألك العفو والعافية في الدّين والدّنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على أشرف المرسلين سيدنا محمدٍ ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدّين.